معركة
السفور والحجاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

معركة

السفور والحجاب

مختصر الجزء الأول من "عودة الحجاب"

جمع وترتيب

محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم

عفا الله عنه

مُحَجَّبَةٌ تَفْتَخِرُ

بِيَدِ العَفافِ أصُونُ عِزَّ حِجابِي
وَبِعِصْمَتِي أَعْلُو عَلَى أتْرابِي
وَبِفكْرَةٍ وَقَّادَةٍ وقَـريحةٍ
نَقَّادَةٍ قَدْ كَمُلَتْ آدَابِـي
مَا ضَرَّنِي أدَبِي وَحُسْنُ تَعَلُّمِي
إلَّا بِكَوْنِي زَهْرةَ الألْبابِ
مَا عَاقَنِي خَجَلِي عَنِ الْعَلْيا وَلا
سَدْلُ الْخِمَارِ بِلُمَّتِي وَنِقَابِي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمـد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقُوا الله حقّ تُقاته ولا تَموتُنّ إلا وأنتم مسلمون﴾. (سورة آل عمران، الآية ١٠٢).

﴿يا أيّها الناس اتّقُوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً * واتّقُوا الله الـذي تسـاءلون به والأرحامَ * إن الله كان عليكم رقيبًا﴾ (سورة النساء، الآية ١).

﴿يا أيّها الذين آمنوا اتّقُوا الله وقولوا قولاً سديدًا * يُصلح لكم أعمالكم ويَغفر لكم ذُنوبكم * ومن يُطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾. (سورة الأحزاب، الآية ٧٠).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد،

ﷺ، **وشرُّ الأمور مُحدثاتُها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**.

بين يديك أيها القارىء ـ مواقف تاريخية تُبيّن لك فصول (**المعركة**) التي نشبت في أواخر القرن الماضي، واستمرت **أمدًا** بعيدًا بين (**الحجاب**)، وبين (**السفور**)، بين (**العفة والفضيلة**)، وبين (**التهتك والرذيلة**).

وقد تركّز البحث حول تاريخ هذه المعركة في (مصر) خاصة لما لها من مركز حساس، جعلها الأسوة في شتى المجالات بعامة، وفي مجال (**المرأة**) بخاصة، الأمر الذي جعل من فصول المعركة خارجها صورة مطابقة لما حدث فيها، ولا ينسى التاريخ وصّية الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ لأبنائه بأن يَقيسوا حال الأمة العربية قوة وضعفًا بحال مصر، فهي ميزان قوة العرب والمسلمين.

ولا ينسى التاريخ أن دفاع المسلمين المصريين ضد الإنكليز وعملائهم من دعاة ما يُسمّى (**بتحرير المرأة**)، كان انطلاقًا من وجهة نظر الشاعر (**أحمد محرم**)، التي يُلخّصها في قولِه مشيرًا إلى (مصر):

احفظوها إن مصر إن تَضِعْ
ضاع في الدنيا تراثُ المسلمين

- لم يكن عفوًا أن تبدأ الحملة الفرنسية بمصر، ولم يكن عفوًا

أن يبدأ الغزو الفكري بمصر، ولم يكن عفوًا أن يكون قادة الغزو الصليبي الجديد لمصر من القساوسة المعروفين بكيدهم **(دنلوب)** و**(كرومر)** اللذين تخرّجا في أكبر المدارس اللاهوتية في أوربا، وغيرهما من النصارى الذين رحلوا إلى مصر ليتخذوها قاعدة انطلاق، وليجندوا زملاءهم من المنافقين والمنافقات، الذين أظهروا أسماء المسلمين، وأبطنوا قلوب الذئاب **﴿يُخادعون الله والذين آمنوا وما يَخدعونَ إلا أنفسهم وما يَشعُرون﴾**، فمن هنا جاز تجريحهم، وكشف عوارهم، تحذيرًا منهم، ونصيحة للمسلمين، كما بيّن ذلك علماء «الجرح والتعديل»، **﴿ولا عدوان إلا على الظالمين﴾**، ولله در القائل:

مِن الـذِّين كشفُ السُّتْرِ عن كل كاذبِ
وَعـن كل بِدْعِيٍّ أتـى بالـعجـائب
ولـولا رجـالٌ مؤمنـونَ لَهُدِّمَـتْ
صوامـعُ ديـنِ الله مِن كل جانـب

● وإذا كنّا بصدد الحديث عن **«المؤامرة على المرأة المسلمة»**، كجزء من مشروع استعماري شامل، لتغيير وجه الحياة في بلادنا، واقتلاع المجتمع الإسلامي من جذوره، فلا ريب يستوقفنا مواقف رضعاء ألبان الغرب والشرق الذين غُسِلت أدمغتهم في دهاليز الكفر، وترعرعوا في كنف الإلحاد، وعادوا إلى بلادنا لترتفع على أكتافهم أعمدة الهيكل العَلماني، من هنا

كان لابد من وقفات معهم، تبين بالوثائق والأدلة موقفهم من الإسلام، وموقف الإسلام منهم.

إن هناك رجالاً بل نساءً وقفوا حياتهم على هدم الإسلام، فهم أولى بأن يكون مصيرهم الهدم، ومن عجيب أمر بعض السذَّج أنهم تأخذهم بأولئك الهدامين رأفة في دين الله، فيتعامَوْن عن رؤية الواقع الصارخ الذي يؤكد أن هناك مؤامرة وتدبيرًا خفيًّا يستهدف القضاء على الإسلام، وينخدعون بأصحاب القفازات الحريرية، الذين هم: «**من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا**»، والذين لا يدّخرون - في نفس الوقت - وسعًا في تحطيم مقومات الأمة، وتنفيذ مخططات أعدائها:

بأبي وأمي ضاعت الأحلام
أم ضاعت الأذهان والأفهامُ
من حاد عن دين النبي محمد
أله بأمر المسلمين قيام
إن لم تكن أسيافُهم مشهورةً
فينا فتلك سيوفُهم أقلام

* * *

والحمد لله أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

حركة « تحرير المرأة » في مصر

البذرة الأولى :

تمتد جذور هذه الحركة إلى عهد «**محمد علي**» باشا والي مصر، حيثما بعث المبعوثين إلى فرنسا ليتلقوا هناك الخبرات والمهارات الفنية لينقلوها إلى مصر، لكن أولئك المبتعثين عاودوا بغير الوجه الذي ذهبوا به، وحملوا معهم جراثيم كثيرة من الدعوات الخبيثة، والأفكار الدخيلة على البيئة المصرية المسلمة، ثم تصدّروا مراكز التوجيه في مختلف الميادين السياسية والتربوية والفكرية، ولم يسلم من هذا «**إمام**» البعثة الديني الشيخ «**رفاعة الطهطاوي**»، الذي تأثر بالحياة الفرنسية، واستوحى منها أفكارًا أبعد ما تكون عن شرائع الإسلام وآدابه.

وفي سنة ١٨٩٤م دعا «**مرقص فهمي**» المحامي القبطي في كتابه «المرأة في الشرق» إلى تحقيق أهداف خمسة محددة، هي :

أولا: القضاء على الحجاب الإسلامي.

ثانيا: إباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب عنها.

ثالثا: تقييد الطلاق، وإيجاب وقوعه أمام القاضي.

رابعا: منع الزواج بأكثر من واحدة.

خامسا: إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط

وقد أحدث الكتاب ضجة عنيفة، ولم يلبث المسلمون حين صُدموا به حتى انطلقت في غمرات هذه الضجة قذيفة أخرى تفجرت في الوسط الإسلامي:

«الكونت داركير» و «المصريون»:

فقـد صدر كتـاب ألفـه (الكـونت داركـير)، باسم (المصريون)، حمل فيه على نساء مصر، **وتعدّى على الإسلام**، ونال من الحجاب الإسلامي، وقرار المرأة المسلمة في البيت، واقتصار وظيفتها على تربية النشء، ورعاية الزوج، وقد هاجم (المثقفين) المصريين بصفة خاصة، لسكوتهم وعدم تمرّدهم على هذه الأوضاع (المنكرة).

وقد بدأ الاستعمار الإنكليزي إثر هذه الضجة يبحث عن وسيلة لشد أزر **«مرقص فهمي»**، فلجأ إلى الأميرة نازلي بنت مصطفى فاضل بن إبراهيم بن محمد علي باشا.

قاسم أمين (١٨٦٣م - ١٩٠٨م) (*)

فتنة الأجيال، وداعية السفور في عهد الاحتلال

الخطوة الأولى: ردّه على داركير:

قرأ «قاسم أمين» كتاب «داركير» عن المصريين، فحاول أن يدافع عن المصريين والإسلام، وألف ردًّا بالفرنسية، حاول فيه

تفنيد اتهاماته لمصر والمصريين، وبين فيه فضائل الإسلام على المرأة المصرية، ورفع من شأن الحجاب، وعدّه دليلاً على كمال المرأة، وحاول شرح الحكمة الإيجابية في قوانين الشرع الإسلامي، إلا أن دفاعه قد بدا تبريريًا، وشرحَه قد اتسم بالخنوع والذلة فيقول وكأنه يناشد داركير أن يعتبر (الإسلام) في مرتبة (المجوسية): (إن الإسلام دين خلقي، لا يقل عن المجوسية ولا عن المسيحية)، وإن روح القرآن لا تختلف عن الروح الإنجيلية) اهـ، ويقول أيضاً: (. . ولهذا كان أمامها - أي مصر - طريقان: العودة إلى تقاليد الإسلام، أو محاكاة أوربا، وقد اختارت الطريق الثاني. . . إنها قد خطت اليوم بعيداً في هذا الطريق حتى ليصعب عليها الارتداد عنه، إن مصر تتحول إلى بلد أوربي بطريقة تثير الدهشة وقد أخذت إدارتها وأبنيتها وآثارها وشوارعها وعاداتها ولغتها وأدبها وذوقها وغذاؤها وثيابها تتسم كلها بطابع أوربي. . لقد اعتاد المصريون قضاء الصيف في أوربا (؟!) كما اعتاد الأوربيون قضاء الشتاء في مصر، فلعل أوروبا تقدر لمصر مسيرتها، ولعلها ترد لها يوماً بعض هذا الود الكبير الذي تكنه لها مصر)اهـ.

ومما يجدر الإشارة إليه، أن قاسمًا استنكر في كتابه - المصريون - خطة بعض السيدات المصريات اللائي يتشبهن بالأوربيات، فاقتنص بعض خصومه الفرصة، ووشوا به إلى

الأميرة «نازلي» بأن قاسمًا إنما يعنيها هي بهذا التعريض بذمّ المصريات اللائي يقلدن الإفرنجيات، ويسرن سيرتهن، **لأنه لم** يكن في نساء مصر آنذاك من يتشبه بالنساء الأوربيات غيرها، فقد كانت الوحيدة التي تختلط بالرجال، وتجالسهم في صالونها الذي افتتحته آنذاك **ليكون مركزًا تبث منه الدعوة إلى التغريب عامة، وإلى «تحرير المرأة»** خاصة .

الخطوة الثانية: كتاب «تحرير المرأة»

غضبت الأميرة مما فعله **«قاسم أمين»**، وهدّدت، وتوعّدت، إلى أن أقْنِع **«قاسم»** بضرورة تصحيح **خطئه، والعدول عن** دفاعه عن الحجاب، فخرج على البلاد بكتابه: **«تحرير المرأة»** سنة **١٨٩٩**م ودعا فيه إلى نفس ما سبق أن دعا إليه **«مرقص فهمي»**، عدا مسألة زواج المسلمات من الأقباط.

وانصرف جهده في الكتاب إلى التدليل على ما زعمه من أن **(حجاب المرأة بوضعه السائد ليس من الإسلام)**، وتعرّض في كتابه - إلى جانب قضية الحجاب - لقضايا اشتغال المرأة بالشئون العامة، وتعدد الزوجات، والطلاق، **وانحاز في كل هذه القضايا إلى ما يطابق نظرة الغربيين إليها**، وحاول أن

يسوغ مسلكه بإيراد نصوص قرآنية، وأحاديث نبوية، بعد أن يُحرِّف معانيها ليسخرها في خدمة أفكاره، وليلبس على ضحاياه بأنه لا يُريد بالإسلام سوءًا، وإنما هو ناصح أمين.

وهذا الشاعر «**أحمد شوقي**» يشير إلى لباقة «**قاسم أمين**» في دعم دعوته بالقرآن والسنة، متسائلاً: أكان قاسم أمين يَغَار على الإسلام أم يُغير عليه؟!

ولـك البيـانُ الجَـزْلُ في	أثنـائـه العلمُ الغـزيـرْ
في مطلبٍ خَشِـنٍ كثـ	يرٌ في مزالـقـه العُـثـورْ
ما بالكتـاب ولا الحـديـ	ـث إذا ذكـرتهـما نكـير
حتـى لنـسـألَ هل تَغـ	ـارُ على العقـائد أم تُغير؟

ردود فعل كتاب «تحرير المرأة»:

تجلّت ردود الفعل في موجة عارمة من المعارضة، كان أكثرها مقالات صحفية، وقد اتهمه المعارضون بالهذيان، وهاجمه علماء الدين هجومًا عنيفًا، وحكم الفقهاء بأنه خرق في الإسلام، ومروق من الدين، وعدها الكثيرون ضربًا من المبالغة في تقليد الغربيين، واتهمه آخرون بالجناية على الدين والوطن، وأنه يرمي إلى قلب الهيئة الاجتماعية المصرية، وممالأة الإنكليز على ضياع البلاد، وأنه ينفذ أمنية من أمانيِّ الأمم الصليبية التي تريد بها هدم الإسلام، وتقويض الآداب والأخلاق، واتّهموا من يُعضِّد هذه الدعوة بأنه ليس من المسلمين.

وانتشر خبر الكتاب في جهات الهند، **واهتم الإنكليز هناك بترجمته، ونشر مسائله اهتمامًا عظيمًا.**

وفي مصر بادر إلى مناصرة «**قاسم**» حفنة من الكتاب، وعلى رأسهم «**جرجي نقولا باز**»، الذي ألف تأييدًا لقاسم كتابين أحدهما: «**إكليل غار على رأس المرأة**»، والآخر: «**النسائيات**».

ولم يكتف دعاة الحق وأنصار الحجاب بالمقالات العنيفة، بل ألفوا الكتب العديدة التي بلغ عددها **مائة كتاب، تبطل شبهات** قاسم، وتقيم الحجة عليه من أدلة الشريعة المطهرة.

● **ومن هذه الكتب:**

«السنة والكتاب في حكم التربية والحجاب» لمحمد إبراهيم القاياتي.

ومنها: «الجليس الأنيس في التحذير عما في تحرير المرأة من التلبيس»، لمحمد أحمد حسنين البولاقي.

ومنها: «خلاصة الأدب»، لحسين الرفاعي.

ومنها: «نظرات في السفور والحجاب»، لمصطفى الغلاييني.

ومنها: «قولي في المرأة»، لمصطفى صبري.

ومنها: «رسالة في مشروعية الحجاب»، لمصطفى نجا.

ومنها: «رسالة الفتى والفتاة»، لعبدالرحمن الحمصي.

موقف محمد طلعت حرب:

وهـذا «محمد طلعت حرب» الذي اقترن اسمه فيما بعد - ويا أسفا - بشئون المال والاقتصاد الربوي، يُؤلّف أول كتاب في الردّ على قاسم أمين، وهو: **«تربية المرأة والحجاب»**، وهو أهم ما أُلّف وأعمقـه أثـرًا، وقـد استنكر عليه دعوته، ودافع عن الحجاب، وكان مما قاله: **«إن رفع الحجاب والاختلاط، كلاهما أمنية تتمناها أوربا من قديم الزمان لغايةٍ في النفس يُدركها كل من وقف على مقاصد أوربا بالعالم الإسلامي»**، وقال أيضًا في نفس الكتـاب: **«إنـه لم يبق حائـل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في المشرق ولا في مصر وحدها - إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل - بل الفساد الذي عم الرجال في المشرق»** اهـ.

وهـذا زعيم الحـزب الـوطني **«مصـطفى كامل»**، يتحسس الأصابع الإنكليزية وراء حركة **«قاسم أمين»** التي يديرها النادي المشبـوه، **«صـالـون الأميرة نازلي»**، والذي كان يضم أذناب الاستعـمار الإنكليزي، وقـاوم **«مصـطفى كامل»** هذه الدعوة المسمومة بشدة، حتى إنه فتح صدر صحيفته **«اللواء»** منذ أول ظهورها لكل طاعنٍ على **«قاسم»** وأفكاره.

من مواقف الشعراء:

وكان للكتاب صدى عميق في نفوس الأدباء والشعراء، فهذا

«محرم» يقول مستنكرًا دعوة «قاسم أمين»:

أغــرَّكِ يا أســماءُ ما ظنّ قاســمُ !؟
أقــيمــي وراء الخِــدر[1] فالمــرء واهــمُ

تضــيــقــين ذرعًــا بالحـجــاب ومــا به
سوى ما جنت تلك الــرؤى والمــزاعم

سلام على الأخـــلاق في الشرق كله
إذا ما استبيحت في الخــدور الكــرائم

أقــاســم لا تقــذف بجيشــك تبـتـغي
بقــومــك والإســلام ما الله عالم

لنــا من بنــاء الأولــين بقــية
تلوذ بها أعــراضُــنــا والمــحــارمُ

أســائــل نفسي إذ دَلَــفْــتَ[2] تريدهــا
أأنــت من الــبــانــين أم أنــت هادم؟

ولــولا الــلواتي أنت تبـكـي مُصــابهــا
لما قام للأخــلاق في مِصْرَ قائــمُ

نبــذتَ إلــينــا بالــكــتــاب[3] كأنــما
صحــائــفــه مما حَمَلْنَ ملاحِــمُ[4]

(١) الخِدْر: ستر يمد للجارية في ناحية البيت.

(٢) دلفت: أي تقدَّمْتَ.

(٣) يشير إلى كتاب «تحرير المرأة».

(٤) جمع ملحمة: وهي الوقْعة العظيمة القتل.

ففـي كل سَطْرٍ منـه حَتْفٌ مفـاجـيءُ
وفي كل حَرْفٍ منـه جيشٌ مهـاجـمُ

إلى أن يقول:

لنـا في كتـاب الله مجدٌ مُؤَثَّـلٌ[1]
ومُلْكٌ على الحِـدْثـانِ[2] والـدّهـر دائمُ
إذا نحـن شئـنـا زلــزل الأرضَ نابُـنـا
ودامـت لنـا أقـطارُهـا والـعـواصـم

* * *

هَممنـا بربـاتِ الحِجَـال[3] نريـدُهـا
أقـاطيـع ترْعَـى الـعيش وهي سوائِمُ
وإن امـرءًا يُلقـى بليـلٍ نِعـاجَـه
إلى حيـث تَسْـتَـنُّ الـذئـابُ لظالِمُ
وكُـلُّ حيـاة تَثْـلِمُ الـعِـرضَ سُبَّـةٌ
ولا كحـيـاة جَلَّلَتْـهـا المـآثـمُ
أتـأتي الـثنـايا الغـرّ والـطُّرَرُ[4] العـلى
بما عجـزت عنـه الـلحى والعـمائم ؟

(١) أي الحسيب الأصيل العظيم الشريف.
(٢) الحِدثان: النُّوَب.
(٣) الحِجال: جمع حَجَلة، وهي سِتْر يُضْرَبُ.
(٤) الطُّرر: جمع طُرّة: جانب الثوب الذي لا هدب له، وطرف كل شيء.

فلا ارتفعت سفن الجواء بصاعد
إذا حَلَّقَتْ فوق النسور الحمائم
عفا الله عن قوم تمادت ظنونهمْ
فلا النهج مأمون ولا الرأي حازم
ألا إن بالإسلام داءً مخامرًا
وإن كتاب الله للداء حاسم

* * *

وهذا الشاعر «جواد الشبيبي» يقول مستنكرًا الدعوة الأثيمة:

منع السفورَ كتابُنا ونبيُّنا
فاستنطقي الآثارَ والآياتِ
تلك الوجوه هي الرياض بها ازدهت
للناظرين شقائق الوجنات
كانت تكتم في البراقع خفية
من أن تمسّ حصانة الخَفِرات[1]
واليوم فتحها الصبا فتساقطت
بعواطف الألحاظ والقبلات
صوني جمالك بالبراقع إنها
ستر الحسان ومظهر الحسنات

---

(١) امرأة خَفِرة: أي شديدة الحياء.

وفي قصيدة للأزدي يُعارض بها «الرصافي» ويخاطب بنت بغداد (كريمة الزوراء)، ويحذرها من ضلال السفوريين، ويبصرها بعواقب مسلكهم الوخيم، يقول:

أو لم يروا أن الفتاة بطبعها
كالماء لم يُحفظ بغير إناء

من يكفل الفتيات بعد ظهورها
مما يجيش بخاطر السفهاء؟

ومن الذي ينهى الفتى بشبابه
عن خدع كل خريدة حسناء؟

إلى أن يقول:

نصّ الكتابُ على الحجاب ولم يُبِحْ
للمسلمين تبرجَ العذراء

ماذا يَريبُك من حجابٍ ساترٍ
جيدَ المهاة[1] وطلعةَ الذلفاء[2]

ماذا يَريبك من إزارٍ مانع
وزر الفؤاد وضلّة الأهواء

ما في الحجاب سوى الحياء فهل من
التهذيب أن يَهتِكْنَ ستر حياء

(١) الجيد ـ بالكسر: العنق أو مُقَدَّمُه؛ و(المهاة): الشمس، والبقرة الوحشية.

(٢) الذَّلَفُ: صِغَر الأنف.

هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى
لو أصدقتك ضمائر الجلساء
شَيِّدْ مدارِسَهن وارفع مستوى
أخلاقهن لصالح الأبناء
أسفينةَ الوطن العزيز تبصَّري
بالقعر لاَ يَغْرُرْكِ سطحُ الماء

وهذا «أديب التقي» يحذر من السفور كذريعة إلى الخلاعة والدمار الاجتماعي:

كيف ترضى بأن ترى حاسرات
يتملى وجوهَها الفجَّارُ
واتخذن الخلاعَة اليومَ خُلُقًا
هو للشعب لو أفاق دمار

وفي السودان هاجم الشيخ «حسيب علي حسيب» بعنف دعاة السفور، فقال:

دَعُوا في خِدْرِها ذات الدلال
فقد أرهقتموها بالجدال
رأيت شعورَها الحسَّاس
مضنًى على هذا الجمود عن المعالي
تذوب وقد تناظرتم حياء
بفُحْشِ اللفظ أو هُجْرِ المقال

ويعلو خَدَّها خَفَرٌ ينادي

ألا يا للنساء من الرجال

زعمتم تعشقون لها صلاحًا

فظني أن ذا عشق الجمال

ومسألة «السفور» غَدَتْ قديمًا

لدي الكُتَّاب مشكلة النضال

وما أَحَدٌ لها يدعو فماذا

يريد الناس من قيل وقال

أَحُبًّا في مناجاة الغواني

تُرى .. أم ذاك زهدًا في المعالي

بلى فالعلم عندهم كريم

ولكن المُتَيَّم غيرُ سالِ

دعوها فهي تؤلمها كثيرًا

سهامُ المصلحين بلا اعتدالِ

عَجِبْتُ لِحلْمِهم في كل خَطْب

وإن ذُكِرَ البناتُ دَعَوْا نَزَالِ

الخطوة الثالثة: كتاب «المرأة الجديدة»:

لم يلبث مؤلف «تحرير المرأة» حين واجه هذه المعارضة التي أحرجته كثيرًا أن «أسفر» عن وجهه الحقيقي، وكشف في جرأة وصراحة عن أهدافه المغرضة، وذلك في كتاب له ظهر في العام

التـالي، وهـو كتـاب «**المرأة الجديدة**» الذي بدت فيه بصمات الفكر الغربي واضحة، وحمل فيه على المدنية الإسلامية، **وادعى أنه لا سبيل إلى الإصلاح الاجتماعي سوى اقتفاء آثار الغرب،** وقطع الصلة بماضي أمتنا، لأن: (**تمسكنا بالماضي إلى هذا الحد هو من الأهواء التي يجب أن ننهض جميعًا لمحاربتها لأنه ميل إلى التـدني والتقهقـر.. هذا هو الـداء الـذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، وليس له من دواء إلا أن نربي أولادنا على أن يعرفوا شئون المدنية الغربية، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها**) اهـ.

وبعـد أن كان يتشـدق في «**الخـطوة الثانية**» بأنه يدعو إلى التمسك بالحجاب الذي يعني سفور الوجه، إذا به في «**الخطوة الثالثة**» يصرح بأن (**الحجاب هو عادة لا يليق استعمالها في عصرنا**)[*] اهـ.

بعض ردود فعل الكتاب

موقف مصطفى كامل:

تصدى «مصطفى كامل» من جديد «لقاسم أمين»، وكتب في (اللواء) بتـاريخ ١٩٠١/٢/٩م معلقًـا على كتـاب (المرأة الجـديدة): (أخـرجـه أخـيرًا قاسـم أمـين ليدعم به أمر كتابه

الأول، ويفتح به آفاقاً جديدة لتحلل المسلمين من دينهم وأخلاقهم) اهـ.

وبما أن هذه الحركة كانت قد نشأت في بيئة وطيدة الصلة بالاحتلال البريطاني، معادية في نفس الوقت لحاكم البلاد الرسمي (الخديو)، فكان من الطبيعي أن يقف منها موقف العداء... **أولاً: لمنافاتها للإسلام في وقت كان الحكام والأمراء يُفاخرون بالحرص عليه. وثانيًا: لصلتها بالاحتلال الذي يعمل على حشد القوى المناصرة له، لمناهضة الخديو، والحد من سلطانه**، وقد أبرز مصطفى كامل موقف الخديو **«عباس حلمي»** من هذه الحركة في اللواء بتاريخ ٢٢ أبريل سنة ١٩٠١م بعنوان **«رأي الجناب العالي في مسألة الحجاب»**، وقد جاء فيه ما نصه:

«يرى الجناب العالي - حفظه الله - في مسألة الحجاب وإطلاق حرية النساء، ما يراه الشرع الشريف ويأمر به، وقد عرف رأي جنابه في هذا الشأن بأمرين:

الأول: أنه أبى قبول كتاب «المرأة الجديدة» عندما ذهب قاسم أمين في الأيام الأخيرة إلى المعية السنية، والتمس تقديمه إلى سموه.

الثاني: أنه قبل كتاب «الاحتجاب» الذي رفعه إليه يوم الجمعة الماضي حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ عبدالله نقيب

الأشراف برودس، وقريب مؤلف الكتاب عبدالله جمال الدين أفندي - رحمه الله -، وتقبله - حفظه الله - بكل ارتياح وانشراح، وأعرب عن عظيم امتنانه من نشره، حتى ينتفع به المسلمون، ويرشدهم إلى الحق والصواب». اهـ.

هذا ولم يقف الأمر بالخديو حيال قاسم أمين عند هذا الحد، بل لقد أصدر أمره بمنعه من دخول القصر في أية مناسبة.

موت (قاسم أمين):

ومات «**قاسم أمين**» ليلة الثالث والعشرين من أبريل سنة ١٩٠٨م، فأوحى الإنكليز إلى شيعته بإقامة ما يسمى: «حفل تأبين» له، فأقاموا هذا الحفل، وأشادوا فيه بدعوته إلى السفور، فقابل رجال الحزب الوطني هذه الحركة بإقامة احتفال كبير للدعوة إلى الحجاب، ولإبراز أصابع الإنكليز في فتنة السفور.

من يحمل اللواء؟

وبموت «**قاسم أمين**»، لم تهدأ هذه الدعوة إلى (تدمير) المرأة إلا قليلاً، وكيف يهدأ للإنكليز بال والخطة لم تصل بعدُ إلى أهدافها؟

وإن مات «**قاسم أمين**» فهناك على الساحة السياسية من يستأنف الدور، ويحمل اللواء، هناك «**حزب الأمة**» - الوفد فيما بعد - وزعاماته المعروفة بعمالتها للإنكليز، هناك وكلاء الغرب

من أمثال: «**أحمد لطفي السيد**»[1]، وعبد الحميد حمدي، ومصطفى عبدالرازق، وعلي عبدالرازق[2].

الطفرة:

وإلى قيام ثورة ١٩١٩م كانت الدعوة الأثيمة لتدمير المرأة محصورة في أضيق الحدود، حتى إن المتظاهرات اللاتي أغراهن دعاة التحرير بالخروج في ذلك الحين كن محجبات يرتدين البراقع البيضاء، ولا يخالطن الرجال.

وقد كانت ثورة (١٩) أكبر طور طفر بحركة «**تحرير المرأة**»، وقد تمثل ذلك في مشاركة المرأة في ثورة ١٩١٩م، ومؤازرة «**سعد زغلول**» للحركة النسائية، وكانت المشاركة الفعلية للمرأة بمظاهرة يوم ٢٠ مارس سنة ١٩١٩م، وكانت هذه المشاركة في ذلك اليوم بمثابة جواز المرور الذي تجاوزت به المرأة الحائط

---

(١) هو أحد أطراف مؤامرة استحداث الاختلاط في الجامعة المصرية، وقد كان خصمًا للعروبة والوحدة الإسلامية، وكان يدعو إلى اعتماد اللهجة العامية بما أسماه «تمصير العربية»، وهو صاحب شعار: «مصر للمصريين»، وأما موقفه من الدين فيلخصه قوله: (لست ممن يتشبثون بوجوب تعليم دين بعينه) إلخ، والعقيدة عنده هي: (القومية والديمقراطية والتمدين) اهـ. انظر الأصل ص (٧٦).

(٢) وهو صاحب كتاب «الإسلام وأصول الحكم»، الذي حوكم بسببه، وطرد من زمرة العلماء.

القديم الذي قبعت طويلاً خلفه، ولم تعد إليه أبدًا، بعد أن وضعت قدمها موضع قدم الرجل.

وربط كتاب هذه المرحلة صراحة بين تحرير المرأة وفكرة «المصرية»، ونبّذ فكرة «الإسلامية»، يقول «محمود عزمي» - وكان من أبرز كُتّاب تلك المرحلة -: «تأثرت بكتب (قاسم أمين) تأثرًا عجيبًا، جعلني أمقت الحجاب مقتًا شديدًا، يرجع إلى اعتبار خاص، هو اعتباره من أصل غير مصري، ودخوله إلى العادات المصرية، عن طريق تحكم بعض الفاتحين الأجانب، فكان حنْقي على أولئك الأجانب الفاتحين الإسلاميين يزيد»[1]. اهـ.

جريمة الزعيم :

(صحبت «صفية زغلول» زوجها «سعد زغلول» في باريس لحضور مؤتمر الصلح سنة ١٩٢٠م لعرض القضية المصرية، وقد «كثت صفية ترتدي الحجاب إلى أن عادت مع «سعد زغلول» إلى مصر بعد عودته من منفاه، وعلى ظهر الباخرة التي نقلتها إلى الإسكندرية، وجد «سعد» البحر وقد امتلأ بألوف المخدوعين يستقبلونه بالقوارب، وقال سعد لصفية: «ارفعي الحجاب»، وتدخل «علي الشمسي»، و«واصف بطرس»! - من

---

(١) «الهلال» - العدد الماسي ص (١٣٢).

أعضـاء الوفد - وعارضا في ذلك، فقال سعد زغلول: **«المرأة خرجت إلى الثورة بالبرقع، ومن حقها أن ترفع الحجاب اليوم»**، ورفعت **«صفية زغلول»** الحجاب[1]، ثم وقفت إحدى صنائع الاستعمار تخطب في القاهرة في احتفال الشعب المخدوع بقدوم **«الزعيم»**، وطلب منها رفع الحجاب، وعندئذ رفعت الحاضرات الحجاب). اهـ.

وجـاء في جريدة **«الجمهورية»** الصادرة في (٢٠/٤/١٩٧٨م) في الذكرى السبعين لموت **«قاسم أمين»**،

---

(١) ويبدو أن الأمر استقر أخيرًا على أن لا تخلع «صفية» الحجاب نزولاً على رغبة (واصف بطرس غالي)!!، فقد حكت «هدى شعراوي» في مذكراتها قصة عودتها على نفس الباخرة التي عاد عليها «سعد»، وهي ترتدي حجابًا مطوّرًا كشفت فيه وجهها وكفيها، فقالت: (وقد بدأ - أي سعد - يهنئني على توفيقي في الوصول إلى رفع الحجاب، وكيفية عمل الحجاب الشرعي (!) الذي أرتديه، وقال: «إنه قد سرَّ عندما رأى صورتي بهذا الزي الجديد في منفاه»، ثم طلب من السيدة حرمه أن تُقَلِّدَني، فوعدت بذلك..

صعدت إلى ظهر الباخرة للنزول، وإذا بصفية هانم تقابلني ببرقعها وملاءتها، فقلت لها: «أين وعدك لسعد باشا بارتداء الإزار الشرعي؟»، فقالت: «أنا ليس لي زوج واحد.. واصف باشا غالي استحسن ألا أغير زيي حتى لا أحدث تأثيرًا سيئًا في المستقبلين»، فعجبت من ذلك، وصافحتها، ونزلت إلى اللنش الذي كان في انتظاري». اهـ، من (حواء) العدد (١٢٣٧) ٧ يونيو ١٩٨٠م.

تحت عنوان: «**تحليل شخصية قاسم أمين**»: «ولما تولى (**سعد زغلول**) زعامة الشعب في عام **١٩١٩**م اشترط على السيدات اللواتي يحضرن لسماع خُطَبه أن يزحن النقاب عما سمح الله به من وجوههن، وكانت هذه أول مرحلة عملية للسفور» اهـ.

وفي رواية: «نفت بريطانيا (**صديقها**) سعد زغلول وجماعته إلى جزيرة (**سيسل**) فترة، ثم أعادته إلى مصر لتوليه رئاسة الوزارة، وتوقع معه معاهدة، فيكون احتلال بريطانيا لمصر شيئًا رسميًا متفقًا عليه!

هُيىء الجوّ في الإسكندرية لاستقبال سعد، وأُعِدَّ سرادق كبير للرجال، وآخر للنساء المحجبات، وأُقيمت الزينات في كل مكان، ونزل «**سعد**» من الباخرة، وعلى استقبال حافل وهتافات، أخذ طريقه إلى سرادق النساء - **دون سرادق الرجال** - فلما دخل على النساء المحجبات، استقبلته «**هدى شعراوي**» بحجابها..

فمدَّ يده - **يا ويله** - فنزع الحجاب عن وجهها، تبعًا لخطة معينة، وهو يضحك..

فصفقت هدى...

وصفقت النساء لهذا الهتك المشين... ونزعن الحجاب.

ومن ذلك اليوم أسفرت المرأة المصرية، استجابة لـ(**رجل الوطنية**) سعد، وأصبح الحجاب نشازًا في حياة المسلمة المصرية.

لقد فعل سعد بيده ما دعا إليه اليهودي القديم بلسانه، فكلّفه دمه[1]، أمّا سعد . . . ؟!»[2]اهـ.

ويستنكر **الشيخ مصطفى صبري ـ رحمه الله ـ** هذه الجريمة التاريخية البشعة قائلاً: «**وكأني بعلماء الدين سكتوا عند وقوع تلك الحادثة احترامًا لسعد، أو انتقده عليه قليل منهم من غير تصريح باسمه كما هو المعتاد عند علماء مصر في النقد، ولكن النهي عن المنكر ليس بجهاد مع الهواء، وإن الحق وخاطر الإسلام أكبر من سعد وألف سعد، وإني تذكرت هنا سعدًا**

---

(١) لعله يشير إلى ما رواه ابن هشام عن محمد بن إسحاق، «وذكر عبدالله بن جعفر بن المسور بن مخرمة، عن أبي عون، قال: كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجَلَبٍ لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًا، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع» اهـ من «السيرة النبوية» لابن هشام مع «الروض الأنف» للسهيلي (٣/١٣٧). وإسناده مرسل معلّق (انظر: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة) للشيخ ناصر الدين الألباني ص (٢٦-٢٧).

(٢) «المرأة المسلمة» للشيخ وهبي سليمان غاوجي الألباني ص (١٨٨).

الصحابيَّ - رضي الله عنه - وقول النبي، ﷺ فيه: **«أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير مِني»**[1] اهـ.

السفور مطية الفجور

معلوم أن المعاصي تزرع أمثالها، ويولد بعضها بعضًا، حتى يعزّ على العبد مفارقتها، والخروج منها، فكلما فرط من العبد معصية، قالت أخرى إلى جانبها: (اعملني أيضًا)، فإذا عملها قالت الثالثة: كذلك، وهلم جرًّا، حتى تصير المعاصي هيئات راسخة، وصفات لازمة، وملكات ثابتة، بحيث لو عطّل المسيء سيئاته لضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رَحُبَت، وأحسّ من نفسه أنه كالحوت إذا فارق الماء، حتى يعاودها فتسكن نفسه، وتقر عينه، ولايزال المسكين يألف المعاصي حتى ينسلخ من قلبه استقباحها، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، بل يحبها حتى يرسل الله عليه الشياطين تؤزه إليها أزًّا، فيكونون أعوانًا عليه.

---

(١) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال سعد بن عُبادة - رضي الله عنه -: «لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح». فبلغ ذلك رسول الله، ﷺ، فقال: «تعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن».

إن الـذي يسمـح لقـدمـه أن تنزلق خطوة واحدة في أول الطريق، لا يدري إلى أين تسوقه قدماه، وإلى أين ينتهي به المسير، لذا كان علينا أن نضع للأشياء حدودًا لا نسمح لأنفسنا بتخطيها.

لقـد تدرّع الشيطان إلى الفجـور الذي نراه اليوم، ونعاني ويلاتـه بالسفـور كخطوة أولى، يستنزل بها المرأة المسلمة من عليائهـا وعفّتها، وما كان للمسلمة أن تطيعه أبدًا إذا دعاها صراحة وهي في قمة الاحتجاب والتعفف إلى ما يحصل الآن مثلًا على شواطىء البحار، وما يرى اليوم على شاشات التلفاز، لكن الخبيث تدرَّج معها ابتداءً بأن السفور (**كشف الوجه**) جائز شرعًا، وانتهاءً بأن خير الهدى هدى أوربا وأمريكا.

قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ في معرض كلامه عن أثر كشف المرأة وجهها في وقوع الافتتان بها: «. . **ولهذا أُمِر النساء بستر وجوههن عن الرجال، فإن ظهور الوجه يُسْفِر عن كمال المحاسن فيقع الافتتان**»[1] اهـ.

تمسك المصريين بالحجاب :

لقد بلغ تمسك المسلمين في مصر بالحجاب مبلغًا عظيمًا إلى حدٍّ دفع الشاعر (**حافظ إبراهيم**) أن يعبر عن عجز المتفرنجين عن إزاحة النقاب عن وجه المرأة المسلمة، ويأسه هو نفسه من

(١) «روضة المحبين» ص (٦٧).

استجابة الشعب لتلك النعرة بقوله:

فلو خَطَرَتْ في مِصْرَ حواء أُمُّنـا
يَلُوحُ مُحَيَّـاهـا لنـا ونـراقِبُـهْ
وفي يدهـا: العـذراءُ يسفـر وجهها
تصـافـح مِنّـا مَنْ ترى وتخـاطبـه
وخـلفَـهـا موسـى وعيسـى وأحمـد
وجيشٌ من الأمـلاك ماجـت مواكبـه
وقـالـوا لنـا: رفـعُ الـنـقـاب مُحلّل
لقـلنـا لهم: حَقٌّ، ولـكـن نجـانبـه[1]

سياسة (تكسير الموجة):

ولما كان تمسك المسلمين بالحجاب أصلاً من أصول نظامهم الاجتماعي، نهج أعداء المرأة المسلمة سياسة تكسير الموجة شيئًا فشيئًا، وهي سياسة استعمارية معروفة، فكانت الخطوة الأولى إبراز فكرة جديدة كنقطة انطلاق يتبعها ما وراءها، وتُضفي عليها الصبغة الدينية الشرعية حتى لا تصدم شعور العامة، ويكون التذرع بالدين وفتح باب الاجتهاد سبيلاً إلى قبولها، ولابد في ذلك من استدراج بعض الشيوخ والعلماء لكي يُدلوا بدلـوهم في القضية، باعتبـار أنها خلاف فقهي فيه راجح

---

(١) «الأهرام» (٥/٩/١٩٨٢م).

ومرجوح، ومن هنا تبدأ القابلية للتردد وزلزلة الأفكار، أجل لابد أن يبدأ الزحف بصحبة الشيوخ الذين تقدسهم العامة، والذين يستغلون في البداية كأسلحة مؤقتة، ولا بأس أيضًا بالتنقيب في الأسفار والبحث هنا وهناك عن عبارات وفتاوى مبتورة تُسَوِّغُ الانحراف عن الشريعة، ثم بعد ذلك وبعد تمكن الفكرة الجديدة من القلوب وشن الحملات على ما يخالفها من الأوضاع الاجتماعية السائدة، يبدأ الانخلاع من الدين شيئًا فشيئًا، لتختفي النبرة الإسلامية حينًا، ثم تأتي مرحلة الهدم والضرب العشوائي الذي يُحطّم كل شيء.

● لقد بدأت حركة «تحرير المرأة» على أيدي المتفرنجين، فقلدهم بعض الخطباء الجهلة، والكتّاب الفسقة، ونشبت المعركة أول ما نشبت حول (كشف وجه المرأة) أي السفور، وأقام العلماء الناصحون الدنيا وأقعدوها، ليحبطوا تلك الدعوة إلى السفور، لا لأنه الحكم الراجح في المسألة فحسب، ولكن لأنهم فطنوا لحقيقة الخطة المدمرة التي تستهدف القضاء على المرأة المسلمة، وتحطيم كيانها، لقد نادوا بتخليص المرأة من الحجاب ولزوم البيت، والخضوع للآباء، والخنوع للأزواج، والبعد عن الحياة الاجتماعية والسياسية، وواتت هذه الحركة فرصة وجود الأمة المسلمة مستعبدة للأجنبي الكافر، مستعمرة له، ترزح تحت نيرانه، وتئن تحت كلكله، تتوجب لما يصبّ

عليها من جام غضبه، وما يسومها به من سوء عذابه، فنسبوا - مكرًا وخديعة - كل ما حلَّ بالأمة المسلمة من تأخر وضعف وهوان ودون، إلى حجاب المرأة وعفتها وحيائها، وبعدها عن التعليم العقيم، والسياسة الفاجرة، والحياة الاجتماعية الفاسدة.

وانخدع كثير من النساء وأوليائهن بتلك الدعاوي المعسولة المسمومة، وأخذت الفتاة المسلمة تتمرّد على الحجاب، وتحاول التخلص منه، فبدأت لأول مرة بإلقاء البرقع الذي كان على وجهها، ونزع النقاب من الوجه كذلك، فظهرت الوجوه ما يحجبها برقع، ولا يغطيها نقاب - وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد كانت خطوة جريئة من المرأة يومذاك، صفق لها دعاة السفور، وعباد الشهوات، ورواد الفجور.

سنة سيئة:

ثم كان أن خطا الناس إلى أبعد مما نادى به قاسم أمين، فقد زعم أنه إنما يدعو إلى الوقوف بالحجاب عند ما أمر الله به، ولم يدع قطُّ إلى كشف العورات كالأذرع والسوق وغيرها، ولم يدع صراحة إلى الاختلاط بالرجال ومراقصتهم، كلاّ ولا دعا إلى شيء مما نراه الآن من انحطاط وتهتك[1]، ولكن قاسم أمين -

---

(1) ومن الجدير بالذكر أن زوجة (قاسم أمين) كانت محجبة حجابًا كاملاً، وقد ذكرت في بعض تصريحاتها بعد وفاته: =

وإن لم يدع إلى شيء من ذلك صراحة ـ هو الذي فتح الباب لهذه الدعوات، وهو الذي سن تلك السنة القبيحة، سنة السفور، لتكون ذريعة إلى ما تلاها من فساد، وهو الذي خطا بالمرأة المسلمة في طريق يعلم كل عاقل أن الناس لابد أن يسيروا فيه من بعده خطوات وخطوات.. ويعلم كل مدرك واعٍ أن الخلف بين المسلمين وبين الغربيين في هذه القضية خاصة مما لا يرجى معه اتفاق إلا بفناء أحد المذهبين في الآخر تمامًا، وبلا قيود، وبلا حدٍّ وسط.

ومعظم النار من مستصغر الشرر:

أخذت الأمور تتطور سريعًا حتى استنفدت دعوة قاسم أمين

= «أنه ـ أي قاسم ـ لم يرغمها على السفور عندما كان ينادي إليه». وتقول: «إنها ظلت ترتدي البرقع والحبرة»، وإن قاسمًا «كان يكتفي بالمناداة بفكرته، ولكنه لم يطبقها في أسرته إلا على النشء الجديد، أعني على بناته»، ثم تحاول تبرئة قاسم من وزر الفساد الذي ترتب على دعوته، فتقول: «إن بنات الجيل الحالي وشبابه قد أخطأوا فهم هذه الدعوة، وتجاوزوا مداها، فالمظهر الذي تظهر به فتيات هذا العصر ليس سفورًا، بل بهرجة فظيعة لم يكن يخطر على بال قاسم أن ينادي بها أو يدعو إليها، وإنما كان قاسم ينادي بالسفور الشرعي (!) الذي لا يزيد على إظهار الوجه واليدين والقدمين، ولا يتجاوزه إلى إظهار العورات، وإلى اختلاط المرأة بالرجل بالشكل الحاصل الآن، وإني أعتقد أن قاسم بك لو كان حيًّا، لما رضي عن هذه الحال، بل لانبرى إلى محاربتها» اهـ، وانظر «قاسم أمين» لأحمد خاكي ص (١٠٦-١٠٧).

- في وقت وجيز - كل أغراضها، وسارت الحال على سنة التدرج المعروفة، واندفع الناس إلى ما وراء السفور في سرعة غير منتظرة، فقد بدأت الفتنة العظمى **بأن خلعت المرأة النقاب، وخلعت معه ما هو أغلى منه وأثمن، ألا وهو ثوب الحياء** الذي طالما صان وجهها أن يكون معروضًا مبذولاً لكل من شاء أن يراه من أجنبي أو فاسق أو كافر، ثم استبدلت المرأة المعطف الأسود بالحَبَرة[1]، وما هي إلا فترة من الزمن حتى امتدت يد التحرر إلى الخمار الذي كان لايزال يستر شعر الرأس، وبدا - لأول مرة - شعر المسلمة مكشوفًا لا شيء عليه يستره عن أعين الناس من أجانب وأقارب، وبذلك شُلّ جسم الحياء في المرأة، ولم يعد قادرًا على منعها من أن تُحدّث، وتُجالس، أو تصافح، وتضاحك من شاءت من الرجال عامة، وأصدقاء وأقارب الزوج خاصة، وإن بعدوا أو سفلوا.

● وتأتي بعد ذلك **الخطوة الأكثر جرأة** إذ تعمد المرأة إلى ملاءتها أو عباءتها أو معطفها، فتلفها كالثوب الخلق، وترمي بها بعيدًا عن ساحة الحياة، وتخرج المرأة المسلمة لأول مرة في تاريخ

---

(١) الحَبَرة: إزار من قطعتين، تدور إحداهما حول الخصر، وتنسدل إلى أن تغطي الساقين، وتنزل الأخرى من فوق الرأس فتغطي الصدر والكتفين، وتنتهي إلى ما دون الخصر، وقد كان يُتَّخَذُ من قماش أسود.

إسلامها في درع سابغ مزين بالألوان المزخرفة، تحته غلالة لطيفة، وما فوقه شيء.

ثم إذا بالمقص يتحيف هذه الثياب في الذيول والأكمام، وفي الجيوب[1]، ولم يزل يجور عليها، فضيَّقها على صاحبتها حتى أصبحت كبعض جلدها، ثم إنها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شواطىء البحر في المصايف بما لا يكاد يستر شيئًا، ولم تعد عصمة النساء في أيدي أزواجهن، ولكنها أصبحت في أيدي صانعي الأزياء في باريس وغيرها من اليهود ومشيعي الفجور.

قطعت المرأة مراحل التعليم المختلفة، واقتحمت الجامعة، مخالطة للرجال في الطرقات والمواصلات والمدرجات، مزاحمة فيما يلائمها وفيما لا يلائمها من ثقافات وصناعات، وشاركت في وظائف الحكومة، ثم لم تقف مطالبها عند حد في الجري وراء ما سماه أنصارها «حقوق المرأة»، أو «مساواتها بالرجل»، وكأنما كان عبثًا أن خلق الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى، وأقام كلًّا منهما فيما أراد بحكمته - جل وعلا -، وامتلأت المصانع والمتاجر بالعاملات والبائعات، وحطم النساء الحواجز التي كانت تقوم بينهن وبين الرجال في المسارح، وفي الترام وفي كل مكان، فاختفت المقاعد التي جرت العادة بتخصيصها للنساء، بعد أن

---

(١) الجيب: فتحة إدخال الرأس.

أصبحن لا يستحيين من مشاركة الرجال.

● **تتابعت هذه التطورات في سرعة مذهلة**، ولم تدع فرصة للمعارضة، وأعان على اندفاعها جو الثورة التي تلت الحرب، وما كان يوحى به من جرأة، ومن تمرد على كل قديم، وقد ظهرت طلائع ذلك في **مظاهرة النساء المشهورة** في مارس سنة ١٩١٩م، التي طافت بشوارع القاهرة هاتفة بالحرية، في طريقها إلى دار المعتمد البريطاني، لتقدم إليه احتجاجًا مكتوبًا على تعسف سلطات الاحتلال، وقد كان عدد المتظاهرات يربو على الثلاثمائة، وعلى رأسهن صفية زغلول، وهدى شعراوي[1]، وهذه المظاهرة هي التي قال فيها (**حافظ إبراهيم**)، **يصف تعرض الجيش البريطاني لها متهكمًا**[2]:

خرج الغواني يحتجِجْن	**ورحت أرقب جمعَهُنَّهْ**
فإذا بهن تخِذْنَ مِنْ	سُودِ الثياب شعارَهُنَّهْ
وَطَلَعْنَ مثلَ كواكب	يسطعن في وَسَطِ الدُّجُنَّهْ
وأخذن يجتزن الطريـ	ـقَ ودارُ سَعْدٍ قَصْدُهنه

(١) ومن النساء اللاتي اشتركن في تلك المظاهرة كزعيمات (حرم حنا مسيحة، حرم د. نجيب إسكندر، حرم إسكندر مسيحة، الآنسة جولييت صليب، رفائيل بغدادي، حرم ويصا واصف، الآنسة ماري ميرهم، حرم صليب سمقريوس، حرم ميخائيل لبيب)، وحرم قاسم أمين.

(٢) ديوان «حافظ إبراهيم» (٢/ ٨٧).

يمشِينَ في كَنَفِ الوقار — وقد أبَنَّ شعورَهنه
وإذا بجيشٍ مقبلٌ — والخيلُ مُطْلَقَةُ الأعنَّه
وإذا الجنودُ سيوفُها — قد صُوِّبَتْ لنُحورهنه
وإذا المدافعُ والبنا — دقُ والصوارمُ والأسنه
والخيلُ والفرسانُ قد — ضَرَبَتْ نطاقًا حَوْلَهُنَّه
والوردُ والريحانُ في — ذاك النهارِ سلاحُهنه
فتطاحنَ الجيشانِ سا — عاتٍ تشيب لها الأجنة
فتضعضعَ النسوانُ والـ — نسوانُ ليس لهن مُنَّه
ثم انهزمْنَ مشتتاتِ — الشملِ نحوَ قُصورِهنه
فليهنأ الجيشُ الفخو — رُ بنصره وبكسرهنه
فكأنما الألمانُ قد — لَبِسُوا البراقِعَ بينهنه
وأتَوْا (بهِنْدِنْبِرْجَ) مُخْـ — تَفِيًا بمصرَ يقودُهنه
فلذاك خافوا بأسهـ — ـن وأشفقوا مِنْ كَيْدِهِنَّه

● وتجرأت المرأة منذ ذلك الوقت على المشاركة في القضايا الوطنية، وفي مختلف الميادين الاجتماعية، فتألفت لجنة مركزية للنساء الوفديات، وتزعمت صفية زغلول حرم زعيم الثورة الأول، وكريمة مصطفى فهمي باشا، هذه الحركة الأولى، التي طفرت بالمرأة إلى وضع لم يحلم قاسم أمين أن تبلغه في مثل هذه المدة الوجيزة، وبهذه السهولة، وغفلت عين المعارضين من

المحافظين عن هذه الخطوات الجريئة، التي أضفى عليها جو الثورة لونًا من النبل حفظها من أن تُهاجم أو تُمسّ.

ثم تنبه **المعارضون**، فإذا المرأة ماضية قدمًا في استئناف الطريق التي وضعت قدمها على أوله باشتراكها في ثورة ١٩١٩م، **فأخذت تؤسس الجماعات، وتقيم الحفلات، وتعقد الندوات والمحاضرات**، وتزعمت هذه الحركة النسوية هدى شعراوي، **وتجرأت هذه المتزعمة على ما لم تتجرأ عليه امرأة مسلمة من قبل**، فسافرت إلى باريس وإلى أمريكا لدراسة شئون المرأة، وأخذت تلقي بالتصريحات والأحاديث لمندوبي الصحف، وجزع المحافظون لما صحب هذه الحركة من ميل إلى التبرج، ومن نزوع إلى التحرر والانطلاق، وأنكروا ما رأوا من تغير حال المرأة، ومن جرأتها على الدين، وتمرّدها على سلطة الأب والزوج، وراحوا يتابعون في ذهول تطور الزي، وتقلص الثوب فوق جسدها في سرعة تجاوزت كل ما يتخيلون من حدود.

يقول عبدالمطلب ناعيًا على النساء تقصير الثياب والتبرج:

ما في بنات النيل من أَرَبٍ لذي غَرَضٍ نبيل
أصبحن عابًا في الزما نِ وسوأةً في شر جيل
ما هذه الخَبَرَاتُ تهـ ـفو في الخمائل والحقول

نَكرَ العفافُ ذيولَها ... ومن الخَنىٰ قِصَرُ الذيول
إن ينتسبن إلى الحجا ... ب فإنه نسبُ الدخيل
يَخْتِلْنَ أبناءَ الهوى ... بالدَّلِّ والنظرِ الخَتول
مِنْ كل خائنةِ الحلي ... ل تهيم في طلب الخليل
ما لابنةِ الخِدْر المصو ... ن وربةِ المجد الأثيل
أودى شفيفُ نقابها ... بكرامة الأم البتول[1]
وعلا رنينُ حُجُولها ... أسفًا على الذيل الطويل
فإذا مشت هتك النقا ... بُ محاسن الوجه الجميل
ولقد ينم عبيرها ... فَتُنجِسُّه من نحو ميل
ترتادُ خائنةُ العيو ... نِ بلَحْظِ فاتنةٍ قَتُول
يا هَلْ درى (ذاك) الغيو ... رُ بما جرى؟! ويح الجهول
أهي التي فرض الحجا ... بَ لصونها شرعُ الرسول؟
جُعِل الحجابُ مُعاذَها ... من ذلك الداء الوبيل
يا مُنْزِلَ القرآن، نُو ... رًا للبصائر والعقول!
عميت بصائرُ أهلِ وا ... دي النيلِ عن وَضَحِ السبيل
ذَهِلوا عن الأعراض، لو ... يدرون عاقبة الذهول!

---

(١) لعله يُعَرِّض بـ «قاسم أمين».

كان تيار السفور والتبرج جارفًا، لم تستطع صيحات المحافظين أن تقف في وجهه، بل لم تستطع أن تقلل من حدته، أو تخفف من سرعته، ولكن ذلك لم يكن ليثنيهم عن التنبيه والتحذير على كل حال.

صيحة نذير:

وهذا هو (شكيب أرسلان) ينشر مقالاً عن «السفور والحجاب»[1]، يحاول أن يقدم للناس درسًا يستنبط فيه العظة من تطورات السفور في تركيا، فيعرض للمراحل التي مر بها، ليبين أن الدعوة إلى نزع الحجاب هي مرحلة تهيء لما يليها من الدعوات التي ترمي إلى هدم أحكام الإسلام، فيقول فيما يقول:

(عند إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م قال «أحمد رضا» بك من زعماء أحرار الترك: «مادام الرجل التركي لا يقدر أن يمشي علنًا مع المرأة التركية على جسرِ غَلَطة[2] وهي سافرة الوجه، فلا أعد في تركيا دستورًا ولا حرية»، فكانت هذه هي المرحلة الأولى، وفي هذه الأيام بلغني أن أحد مبعوثي مجلس

---

(١) «المنار» عدد ٢٩ ذي الحجة ١٣٤٣ هـ - ٢١ يوليو ١٩٢٥م.

(٢) كوبري جالتا أو بلتا جسر شهير في مركز مدينة استانبول، يربط بين قارتي آسيا وأوربا، ويصل بين شطري المدينة التي تمتد في القارتين.

أنقرة، الكاتب رفقي بك، الذي كان كاتبًا عند جمال باشا في سورية، كتب: «إنه مادامت الفتاة التركية لا تقدر أن تتزوج بمن شاءت ولو كان من غير المسلمين»[1]، بل مادامت لا تعقد مقاولة مع رجل تعيش وإياه كما تريد، مسلمًا كان أو غير مسلم، فإنه لا يعد تركيا قد بلغت رقيًا، فهذه هي المرحلة الثانية .ثم يقول (شكيب أرسلان):

«فأنت ترى أن المسألة ليست منحصرة في السفور ، ولا هي بمجرد حرية المرأة المسلمة في الذهاب والمجيء كيفما تشاء، بل هناك سلسلة طويلة حلقاتها، متصل بعضها ببعض، لابد من أن ينظر الإنسان إليها كلها من أولها إلى آخرها، فإذا كان ممن يرى حرية المرأة المطلقة، فعليه أن يقبلها بحذافيرها. . . أما أن نجمع بين حرية المرأة وعدم حريتها، وأن نطلق لها الأمر تذهب حيث أرادت، وتحادث من أرادت، وتضاحك من أرادت، وتغامز من أرادت، ثم إذا صبا قلبها إلى رجل من غير جنسنا، فذهبت وساكنته، وكان بينها وبينه ما يكون بين الرجل وزوجته، أقمنا القيامة، ودعونا بالمسدس، وقلنا: ياللحمية،

---

(١) وبالفعل نص القانون المدني التركي فيما بعد على إباحة زواج النصراني من المسلمة، انظر مجلة «الرسالة» العدد ٨٠ تاريخ ٩ شوال ١٣٥٣هـ، ١٤ يناير ١٩٣٥ ص (٤٥).

بالـلأنفـة، باللغـيرة على العرض! فهذا لا يكون! وليس من العدل ولا من المنطق أن يكون».

ثم يقـول: «والنتيجة التي نريدها قد حصلت، وهي أن سلوكنا مسلك الأوربيين حذو القُذّة[1] بالقذة في هذه المسألة، هذا له توابـع ولـوازم لابـد أن نقبلهـا ، ولا يبقى معها محل لكلمة: «أعوذ بالله»، كلاّ، لا يوجد هناك «أعوذ بالله» بل تلك مدنية، وهـذه مدنية، تلك نظرية، وهـذه نظرية، فعلينا أن نختار إحدى المدنيتين، أو إحدى النظريتين، مهما استتبعت من الأمور التي كان يقال في مثلها عندنا: أعوذ بالله» اهـ.

وقـد كان هذا الـذي قاله شكيب أرسلان وتوقعه في سنة ١٩٢٥م صحيحًا تمامًا، فلم تمض عليه ثلاث عشرة سنة حتى ارتفع صوت الصحفي الكاثوليكي «إبراهيم المصري»، يقول تحت عنوان:

بعد السفور [2]:

«إننـا لم نخط بعـد الخطوة الحاسمة في سبيل تطبيق روح

---

(١) القذة: ريش السهم، والحذو: القطع والتقدير على مثال، أي كما تقدر كل واحدة منها على صاحبتها وتقطع.

(٢) «الهلال» عدد ١ يناير ١٩٣٨م - ص (٢٦٨ - ٢٧٢).

الحضارة العصرية على عاداتنا وأخلاقنا وأساليب حياتنا، إن نساءنا العصريات المتعلمات اللواتي يطالعن الصحف، ويقرأن القصص، ويغشين المسارح ودور السينما لايزال يحال بينهن وبين الظهور في المجتمعات البيتية أمام رجل غريب، فنحن قد سلمنا بمبدأ تعليم نسائنا، **ولكنا لم نسلم بعد بقدرة هؤلاء النساء على الانتظام في حفل كبير يضم عددًا مختارًا من أفراد الجنسين**، ويتألف منه مجتمع مصري مختلط أشبه بالمجتمعات الأوربية التي نشهدها في مصر، **ونحسد الأجانب عليها**».

ويزعم الكاتب الكاثوليكي أن ذلك راجع إلى أن: (ثقة الرجل المصري بالرجل المصري لاتزال معدومة)، **ثم يقول**:

«وقد ترتب على ذلك أنك أصبحت ترى **امرأة صديقك السافرة في الشارع وفي المحل التجاري، وفي دار المسرح أو السينما**، ثم لا تستطيع أن تراها في بيتها لتتفهم حقيقة شخصيتها، **وتعرف كيف تعيش؟ وكيف تشعر؟ وكيف تفكر؟** أصبحت تبصرها في الحياة العامة، وتعجب بها، ولكنك متى أردت **تهذيب عواطفك، وصقل إحساساتك ومشاعرك بالجلوس إليها، والتحدث معها، وإشراكها في المسائل التي تشغل عقلك وعقل مواطنيك، حيل بينك وبينها، واتهمت بفساد النية وسوء القصد**».

ثم يزعم الكاتب في مقاله أن: «المجتمع المختلط هو الذي

يقرب مسافة الخلف بين الجنسين، ويقيم علاقات الرجل والمرأة على قاعدة التفاهم الفكري العاطفي».

ثم يدعو الكاتب المصريين لأن يطردوا من عقولهم: «الاعتقاد الشرقي الشائع بأن الرجل والمرأة متى التقيا فلابد أن ينهض الشيطان بينهما، وينفث في نفسيهما سموم الرذيلة والشر[1]، هذا هو سر تأخرنا، وهو بقايا عصور الجهل والخوف والظلام) اهـ كلامه.

ولله دَرُّ الإمام ابن دقيق العيد القائل:

من عُذَيْري من معشر هجروا العقـ
ـل وحادوا عن طُرْقِهِ المستقيمة
لا يَرَوْنَ الإنسان قد نال حَظًّا
مِن صلاحٍ حتى يكونَ بهيمه

والآن يا أختي المسلمة:

هل أدركتِ مدى فِطنة فقهائنا وبُعْدِ نظرهم لما حرّموا السفور؟.

وهل لك أن تسمعي هذه النصيحة من شيخ ناصح أمين[2]:

---

(١) هذا من الكاتب النصراني زيادة في الكفر إذ إن الذي يشير إليه ليس اعتقادًا شرقيًا، ولكنه معنى حديث شريف عن سيد ولد آدم ﷺ.

(٢) هو فضيلة الداعية الإسلامي الشيخ أبو بكر جابر الجزائري - حفظه الله - =

«إن بداية السفور والتبرج الجاهلي الذي عليه جُلّ نساء المؤمنين اليوم في ديار المسلمين، إنما بدأ من كشف الوجه بإزالة البرقع والنقاب عنه حتى بات، وأصبح، وأضحى، وظل، وأمسى من المعلوم بالضرورة : أن من كشفت من الفتيات عن وجهها اليوم ستكشف غدًا حتمًا عن رأسها وصدرها وساقيها، وحتى فخذيها، ولا يجادل في هذا، أو لا يسلمه إلا مغرور مخدوع، أو مضلِّل مُغَرِّر، مخادع يعمل لحساب الماسونية العالمية، التي جعلت من أهدافها القضاء على الإسلام عقيدة وبيتًا، ومجتمعًا ودولة.. وبناء على هذا فإن اليد التي تحاول أن تحسر الحجاب عن وجه فتياتنا اليوم ينبغي الضرب عليها، وإن اللسان الذي يدعو فتاتنا إلى نزع الحجاب بإسقاط ملاءتها ينبغي أن يقطع».

ويقول فضيلته محذرًا من المُغَرِّرين : «إنهم اليوم لا يطلبون منك أكثر من كشف وجهك، وبحجة أن كشف الوجه مختلف فيه بين أهل العلم في كونه الزينة التي يجب أن تخفيها المسلمة، أو من غير الزينة مما لا يجب عليها إخفاؤها.. غير أنهم يعلمون علم اليقين - بحكم التجارب الطويلة العديدة - أنك يوم تكشفين عن وجهك، ويذهب ماؤه وحياؤه ستكشفين لهم عما عدا ذلك» اهـ.

= في رسالته: (إلى الفتاة السعودية والمسئولين عنها) ص (٢٦).

وصدق الشيخ سعيد الجابي رحمه الله إذ قال:

رفع النقاب وسيلة إن حُبِّذتْ ... ضُمَّت إليها للفجور وسائلُ
فالاختلاط فمرقص فتواعد ... فالاجتماع فخلوة فتواصل

وقال آخر:

يا أختُ سابغة البرا ... قع في الأباطح والوعور
قَرِّي - فَدَيْتُك - حيث لا ... تؤذيك لافحةُ الهجير
ودعي الجنوحَ إلى السفو ... رِ وخَفِّفي ألَمَ العشير
النِّمرُ لو لَزِم الشَّرَى[1] ... من كان يطمع في النمور؟
والطير تأخذها شِبا ... كُ الصيدِ في تَرْكِ الوُكور

وفيما يلي نعرض بعض فصول المعركة التي نشبت بين أنصار الحجاب، ودعاة التبرج والسفور:

فمن فصول هذه المعركة:

ومن فصول هذه المعركة الهجمات التي شنها الشاعر العراقي الملحد المدعو جميل صدقي الزهاوي، حيث أكثر من الطعن في الدين والتنفير من شرائعه، حتى قال في الحجاب:

أَخَّرَ المسلمين عن أمم الأر ... ضِ حجابٌ تَشْقَى به المسلماتُ

---

(١) طريق في سلمى كثيرة الأُسْد، وجُبيل بتهامة كثيرة السباع.

فانبرى له الشيخ ابن الخطيب وعارضه قائلاً[1]:

بئس ما يدعي فلاسفة العصر من أن السفورَ فيه الحياةُ
وَهْوَ حَقٌّ إذ إن أسلافَنا الأعر اب مِن فَرْطِ من يحبون ماتوا[2]
يا خليلي حَدِّث عن الشرق قِدْمًا حين كانت تعظم المعجزاتُ
حين كان القرآنُ يُرْجَى ويُخشى والقوانينَ آيُهُ البيناتُ
حين كان الحديثُ يُتلَى ولا يَرْ ويه إلا ذَوُو العقولِ الثقاتُ
إننا في الزمان نُلْفى أناسًا في التوضي علومُهم قاصرات[3]
وهُمُو بَعْدُ يدَّعُون علومًا أنكرتها عصورُنا الخاليات[4]

(١) «حقائق ثابتة في الإسلام»، لابن الخطيب ص (٨١-٨٦).

(٢) تهكم بهذا الرأي الفاسد والقول المذموم، فهو يصدقهم فيما زعموه من أن السفور سبب للحياة، إشارة إلى أن من مات من أعفاء العرب حزنًا وجوى لعجزهم عن رؤية من يحبون نظرًا لأن الحجاب كان يحول دون ذلك، فيموت العاشق أو يجن، وفي هذا يقول قائلهم:

ما كان أغناني عن حب مَن مِن دونه الأستارُ والحُجُبُ

في حين أن السفور المقوت قد خلط الحابل بالنابل، وجعل العاشق متمكنًا ومالكًا لمن يعشقها، فانقشع (بفضل) السفور الأسى والجوى، وحل محلها القرب والنجوى، فعمَّ بذلك الشر والبلوى، واستوجبوا به غضب الجبار، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) أي أنهم لا يتقنون الوضوء، أو: لا يتوضؤون أصلاً لتركهم الصلاة.

(٤) وذلك لأنهم مع جهلهم حتى بفقه الوضوء، يتقمصون صور العلماء=

ليت شعري ماذا يريدون منا — وصنوفُ الأذى بنا محدقات

بنتَ مصر هاتي سفورك واغشى — كلَّ نادٍ ولتمل منكِ الجهات[1]

عَرِّفي نفسَك الغداةَ وطوفي — لا تَفُتْكِ الأسواقُ والحانات

ثم أُمِّي مجالسَ القوم وادعيـ — ـهم إلى حيث لا تمل الدعاة

علِّنا بالسفور نبني حصونًا — شامخات بها تُرَدُّ العُداة

وعسانا نرى البرايا سجودًا — لابن مصرَ وقد علاه الثُّبات[2]

ولعمري لقد بكى الدين حزنًا — حين قال الخطيب: يا سيدات

ومن لطائف الحق في هذه المعركة :

ما قاله الأديب الشاعر «مصطفى صادق الرافعي» ـ رحمه الله ـ رادًّا على دعاة «تحرير المرأة»:

أراكِ تُرَجِّين الذي لستِ أهْلَهُ — وما كُلُّ عِلمٍ إبرةٌ وثيابُ

كفى الزهرَ ما تندى به راحةُ الصبا — وهل للندى بين السيول حساب

وما أحمقَ الشاةَ استغرته بظِلْفِها — إذا حَسِبت أن الشياةَ ذئاب

فحسبكِ نبلًا قالهُ الناس: أنجبت — وحسبكِ فخرًا أن يصونَكِ باب

= والأحبار، ويتشدقون بالنصوص الشرعية بعد تحريفها وتأويلها مدعين أن السفور لا ينافي الدين، ويأتون بفهم للنصوص سقيم لم يسبقهم إليه سلف ولا خلف.

(١) أمر قصد به التهكم والاستهزاء.

(٢) أي تركه النوم والخمول.

لك القلب من زوج وولْدٍ ووالد

ومـلك جميع العالمين رقاب

ولم تُخْلَقي إلا نعيمًا لبائس

فمن ذا رأى أن النعيمَ عذاب

دعي عنكِ قومًا زاحمتهم نساؤهم

فكانوا كما حَفَّ الشرابَ ذباب

تساوَوْا فهذا بينهم مثلُ هذه

وسِيَّانَ معنًى يافعٌ وكُعَاب

وما عجبي أن النساء ترجلت

ولكنَّ تأنيثَ الرجال عُجَاب

وأيضًا ما كان من الشاعر الأستاذ (محمد حسن النجمي)، وقد اطَّلع على رَدِّ فضيلة الشيخ (مصطفى صبري) - رحمه الله - على السفوريين، فأنشأ القصيدة الآتية:

زَعَمَ السفورَ والاختلاطَ وسيلةً

للمجدِ قومٌ في المجانةِ أغرقوا

كذبوا، متى كان التعرضُ لِلْخَنا

شيئًا تَعُزُّ به الشعوبُ وتَسْبِقُ

أيكون كشفُ السوأتين فضيلةً

فيذيعها هذا الشبابُ الأحمقُ

ما بالهم والبنتُ قد فُتِنَتْ بها

قالوا، وحَلَّ بها الجنونُ المطبق

وَبَدَتْ مَقَاتِلُ عِرضِها لرُماتِهِ
حتى لَهَمَّ به الجبانُ الأخرق
والقولُ أصبحَ في الخروجِ لها فلا
كَفٌّ تكُفُّ ولا رِتاجٌ يُغلق
كرِهوا الزواجَ بها وباتت سوقُها
بعدَ التبذلِ عندهم لا تنفق
ما خطبُهم كلفوا بنزع حجابها
وتكلفوا فيه البيانَ ونَمَّقوا
وتناولوا بالضعفِ من حاجاتنا
واللينِ ما هو بالصرامة أخْلَقُ
أغدت مشاكلُنا الكبيرةُ كُلُّها
ذيلاً يجرجره السفورُ المطلق
أم أنهم ضَلُّوا السبيل وَغَرَّهُمْ
ببريقِهِ هذا الجديدُ المخلق

* * *

أشبابَنا المرجُوَّ صيحةُ جازع
أغرى بها هذا البلاءُ المُحْدِقُ
ونصيحةٌ يُفْضِي برائِع سِرِّها
لِقِوام نهضتِنا مُحِبٌّ مشفق

لا تُزهِفُوا سَمْعَ الحَفِيِّ لقالةٍ
أبدًا بها بومُ البطالة تنعق
لم يقصدوا خيرًا بها لكنهم
رَأَوُا القويَّ يُسِيغُها فتملَّقُوا
ولربما اجترح القويُّ خطيئةً
فمضى الضعيفُ بمدحها يتشدّق
قوا أهلَكم ونفوسَكم عارًا إذا
لم تتقوه بغيركم لا يعلق
وتناولوا بالزَّجْر حُمْرًا كلما
هيجت إلى مُتعِ الإباحة تنهق
ليس التمدنُ أن نرى روحَ الحيا
بيد الخلاعة كل يومٍ تُزْهَقُ
والبنت يدفعها براحته الهوى
فتروح تهوى من تشاء وتعشَق
لكنه العلم اهتدى بضيائه
غربُ البسيطة حين ضَلَّ المشرقُ

المصير الأسود

وكنتيجة حتمية لذلك السفور، وهذا التبرج الجاهلي الكبير، ولنفس النظام التعليمي الفاسد الذي غايته المثلى، وهدفه

الأسمى الوظيفة الحكومية وغير الحكومية، امتلأت دور الحكومة ومصالحها بالموظفات، وازدحمت بهن المسارح ودور السينما، وكذلك المسابح والمصطافات، وضمت البلاد بالخبث، وعمها الفساد، وانمسخ المجتمع الإسلامي، فأصبح غيره بالأمس في مظهره ومخبره، وظاهره وباطنه.

ثم جردت جيوش الشيطان، ونفثت سمومها في كل مكان، عبر السينما والتليفزيون والمسارح، وإذا بنا أمام مخطط إلحادي يجوس خلال ديارنا، وإذا بالزنا يحميه قانون، وإذا بالفسقة والفاسقات من أهل «الفن» تقام لهم الأعياد، وتضفى عليهم صفات البطولة، وتهدى لهم الجوائز ليستعينوا بها على إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا.

● لقد كرم الإسلام المرأة كتابًا وسنة، وحفلت شريعته برفع شأنها وصيانة حقوقها، لكنها أذلت نفسها لما اتبعت الذين حرضوها ضد فطرتها ودينها، فسلخوها من دينها، وأبعدوها عن ربها، وألقوا بها في متاهات الحياة لتقاسي شظف العيش ومكاره المحن، التي ناء بها كاهل الرجل بَلْهَ المرأة، لقد حملوها حملًا على أن تصطف في طابور المنقادين لحضارة الغرب، لتدخل جنته المنشودة، ولكن بعد أن تخلع على أعتابها إيمانها بالله واليوم الآخر.

ودفعت المرأة الثمن :

لقد فقدت المرأة التي كان يلوح لها «**أنصارها**» بسعادة التحرر والتطور - ليس فقط سعادتها - **بل فقدت وجودها كله كامرأة ذات قيمة في المجتمع ووزن فيه** ، لقد قبضت فيما مضى على دينها، فقبض الله عنها السوء، وبسط لها الحلال، حتى لم تكد تينع الثمرة في بيت أبيها إلا وتمتد يد الحلال لتقطفها، فلا تفتح عينها إلا على حليلها، ولكنها وقد ابتذلت وأهينت على يد أصدقائها وأنصارها كان أول من زهد فيها أنصارها المخادعون، ولم تعد - كما كانت - تتمتع **باحترام الآباء والأزواج**، ولم تعد تحاط بهالة التقدير والتعظيم، وإنما أصبحت في نظر الجميع أشبه بمحترفة تطلب العيش، وتقرع كل باب للعمل لعلها تحصل على وظيفة - أيًا كانت - تدر عليها دراهم معدودة، تنفق أكثرها في المساحيق للتجميل، وفي الثياب القصيرة للفتنة ولفت الأنظار.

هذا هو المنحدر الفظيع، والهاوية السحيقة، والمصير الأسود القاتم، الذي انتهت إليه المرأة في كثير من بلاد الإسلام، إلاَّ من رحم الله - عز وجل -.

والآن :

وقد خلعت المرأة حجابها، وغادرت حصنها، وعَصَت ربها، فهل جنينا حقًا التقدم والرخاء والحضارة؟

لقد خالطت الرجال، واختلط الحابل بالنابل، فهل زالت العقد النفسية؟ وهل استقرت دواخلها؟ وهل جنينا سوى الثمار المريرة؟

لقد فتحنا بلادنا أمام حملات الغزو الفكري اليهودي والصليبي والعلماني الذي سلط علينا سموم الشبهات، وسهام الشهوات، التي كان أفتكها المرأة، فهل وجدناهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً؟

التجربة خير شاهد :

إننا لن نطيل في وصف الهاوية التي تردت إليها المرأة «المتحررة» بفضل «أنصارها» و«أصدقائها» الكذابين، لأن الواقع حولنا يكفينا مؤنة هذه الإطالة، إنه حقًا واقع مرير مرير، تستطيع أن تدرك عواقبه وآثاره حيثما وقعت عينك، في كل بيت، في كل طريق، في كل وظيفة.

وربما إذا كنا نتكلم من خلال خيال حالم أو حتى منذ قرن واحد مضى لاتُّهمنا بالتحامل والمبالغة.

ولكنه واقع أليم، خير من ينبئك عنه:

هذه المرأة الضحية..

وهؤلاء «الأنصار» و«الأصدقاء»..

إن صدقوا !

خريجات البيوت العميلة
في موكب الرذيلة

ارتبطت **الأحزاب النسائية** في الشرق على اختلاف أسمائها بعجلة الاستعمار، منذ أول يوم من نشأتها، وقام بتزعم هذه الأحزاب نسوة طفن بأوربة، وشددن الرحال إلى مؤتمراتها **ومؤامراتها**، ثم عدن نائبات عن **(أسيادهن)** في مهمة **(تدمير المرأة المسلمة)**[1] ويذلن كل فروض الطاعة والولاء الصريح لأعداء الإسلام، وتبرأن في الوقت نفسه من إظهار أي صورة من صور الولاء الحقيقي لله ولرسوله وللمؤمنين، وجهر بعضهن بعد ذلك بالطعن في الدين، والتبري من شريعة سيد المرسلين، ﷺ، أفلا يحقُّ لنا بعد هذا كله أن نتساءل:

ما سر العلاقة الودية الوثيقة التي تربط بين دعاة تحرير المرأة، وبين القوى الاستعمارية والمعادية للإسلام، وعلمائه ودعاته وأهله، في كل مكان من العالم حولنا؟!

لعبة العرائس المتحركة:

في موكب الرذيلة صحافيات، ومذيعات، ومعلمات،

(١) انظر تفصيل أحوال بعضهن في أصل هذا المختصر ص (١٠٥-١٢٩).

وطبيبات، «فنانات»، وسياسيات، قد تلونت تصوراتهن بألوان شتّى، وتفرقت مللهن أيما تفّرق، وبرغم انتساب بعضهن إلى الإســلام، فقـد جَمَعَهُنَّ هدف واحـد هو **طعن الإسـلام في الصميم**، وهؤلاء جميعًا وضعن أنفسهن بهذا المسلك الوخيم في صف المواجهة مع الإسلام، يرمينه عن قوس واحدة، شئن أم أبين، رضين أم كرهن، وتحصّنّ في هذه الحرب في خندق واحد ضم إليهن اليهود والنصارى والملاحدة، والمنافقين والفاسقين، وكـأني بهن يشرن إلى أوليائهن، ورفـاقهن، قائلين: **﴿هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلًا﴾**، فما أجدر هؤلاء بقوله تعالى: **﴿ومن يُشـاقق الـرسولَ من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُولّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾**.

وغير هؤلاء صفوف وصفوف، ممن رباهن الاستعمار الصليبي والصُّهْيَوْني في محاضنـه، وأخـريات ممن هن في دور الإعـداد والـتربية، ليخلفنهن في مهمـة «تـدمير المرأة»، كلّ بأسلوبه، وبقدر طاقته، **﴿ولكل وجهة هو موليها﴾**، لكن يجمعهن محور واحد، يؤكد أن هذه الشخوص التي تبدو للناظر كأنها تتحرك بإرادتهـا، لا تتحرك إلا حسب خطة واحدة، قدَّرها، ورسم خطوطها الذين فَضَّلُوا أن يجذبوا الخيوط من خلف ستار، كفانا الله والمسلمين شرورهم.

إن المرأة المسلمة الواعية البصيرة بحقوقها وواجباتها في ضوء كتاب الله - عز وجل -، وسنة رسوله، ﷺ، هي المرأة الجديرة بصفة الحرية، أما المرأة غير المسلمة أو المنحرفة في فهمها للإسلام فهي الأسيرة التي تحتاج إلى تحرير، سواء كان هذا التحرير من رقّ الشرك والوثنية، وعبادة غير الله، أو رقّ الرذيلة والتهتك، أو رقّ العادات والأعراف والتقاليد المنافية لدين الإسلام.

﴿ومن يَبْتَغِ غير الإسلام دينًا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾.

(لا) للقومية النسائية :

كان دأب دعاة «تحرير المرأة» منذ البداية لجعل القضية: قضية «تحرير المرأة» فقط، مع إسقاط تعيين «المسلمة»، ومن ثم ربطها بقضية تحرير المرأة في العالم، كأنما صارت هناك قومية خاصة اسمها «القومية النسائية»، تربط المرأة المسلمة بالمرأة النصرانية بالمرأة اليهودية، بالمرأة عابدة البقر والأوثان، بالمشركة، بالملحدة، بل تجاوزت هذه «القومية النسائية» حدود الزمان أيضًا، حتى رأينا من «المتحررات» من تفخر بنساء الفراعنة عابدي الملوك والأحجار[1].

---

(١) انظر الأصل ص (١٣١-١٣٢).

كأن قضيتهن واحدة، ومطالبهن واحدة، وأهدافهن واحدة، ومعتقداتهن واحدة، وكان السعي فعلاً حثيثًا لتأخذ المرأة المسلمة ملامح المرأة الغربية، وكلما تطابقت صورتها مع الغربية زاد الإعجاب بها، وتقريظها بأنها لا تفترق عن الأجنبية! حتى سقطت المرأة المسلمة، فيما لم تسقط فيه حتى عابدة البقر، التي ظلت معتزة بزيها الخاص «الساري»، وتميزها بالنقطة الحمراء بين عينيها.

● **وقد قامت الدوائر الاستعمارية خاصة في أمريكا وانكلترا بتغذية هذه «القومية النسائية» في البلاد الإسلامية خاصة مصر**، فحينما استطاع **«الاتحاد النسائي المصري»** أن يعقد ما سُمِّيَ بـ«**المؤتمر النسائي العربي**» سنة ١٩٤٤م وسط استنكار الشعوب العربية والمسئولين فيها، ووسط احتجاج العلماء، وثورة الإسلاميين، إذا بزوجة الرئيس الأمريكي **«روزفلت»** - ذات الدور الخطير في تكوين الوطن القومي لليهود في فلسطين - تبرق إلى المؤتمر المذكور في ١٧ ديسمبر١٩٤٤م البرقية الآتية: «يسرني أن تتاح لي فرصة إرسال تحيتي إلى مندوبات الاتحادات النسائية في مختلف بلاد الشرق العربي، والواقع أن نفوذ السيدات ليتعاظم ويزداد قوة في مختلف أرجاء العالم، وإني لواثقة من أن النساء العربيات سيقمن بدورهن إلى جانب **«شقيقاتهن»** في باقي بلدان العالم، أملاً في نشر التفاهم والسلم

العالمي، في المستقبل».

ومن قبلها حضرت إلى مصر «الدكتورة ريد»، رئيسة الاتحاد النسائي الدولي بنفسها، لتدرس عن كثب تطور الحركة النسائية، ولتناصر الحركة بنفوذها في المحيط الأوربي، وبتصريحاتها التي ترمي إلى «المسارعة بإعطاء المرأة المصرية الحقوق السياسية» المزعومة.

● ومن هنا أيضًا لم يدهش الشعب المصري لزيارة وزيرة الشئون الاجتماعية البريطانية «سمر سكيل» لتتفقد الأحزاب النسائية في مصر، وتجتمع بـ «درية شفيق»، رئيسة حزب «بنت النيل» المشبوه، وتحرضها على أن تترك المقالات والمناقشات والمجادلات وتتجه إلى المظاهرات واقتحام أبواب البرلمان [1].

وتمتثل رئيسة «حزب النيل» لتلك التوجيهات، ففي أبريل سنة ١٩٥٢م خرجت مظاهرة من قاعة «إيوارت» بالجامعة الأمريكية - ذات التاريخ الطويل في التنصير - قِوامها بضع

---

(١) وكان الهدف من ذلك كله إشغال الرأي العام بقضية المرأة عن التفرغ لقضية (الوطن الأسير) الذي كانت تحتله آنذاك الدولة التي تمثلها «سمر سكيل» الغيورة على (حقوق المرأة المصرية)!، وهذا هو دَأْبُ داعيات التحرير ومَنْ وراءهن: استغلال فترات ضعف الأمة وخضوعها للمحتل الأجنبي لتحقيق مآربهن، كالجراثيم والميكروبات التي تظل كامنة فإذا ما طرأ على الجسم ضعف نشطت وانتعشت لتزيده وهنًا وضعفًا.

عشرات من الفتيات الكاسيات . . . . ، تتقدمهن زعيمة الحزب المذكور، وبعض الشبان من أصدقاء حزبها وأنصاره إلى دار البرلمان، هاتفات بالحقوق السياسية المزعومة!

وفورًا، أبرقت جمعية «سان جيمس» الإنكليزيَة إلى الزعيمة المذكورة بتهنئتها على نجاحها في اتجاهها الجديد نحو المظاهرات، وتعلن تأييدها لها حتى تنال المرأة المصرية على يديها الحقوق السياسية، تحت قبة البرلمان، وفوق كرسي الوزارة.

فهل أدركت يا أخت الإسلام :

حقيقة «الحركات النسائية».. وهدف «القومية النسائية العالمية»؟!

إن الكلام عن «العالمية» في هذا المجال ضارّ جدًا، وهادم لأسباب النهضة عند الأمم الضعيفة بنوع خاص، لأنها إذا أرادت أن تنهض فلن تقوم لها نهضة إلا على مغارسها وأصولها الأولى، والنهضة على غير هذا الأساس فناء لذات العنصر الأضعف في العنصر الأقوى.

حصاد المؤامرة :

في نفس الوقت الذي ارتفعت فيه نعرة توحيد «القومية النسائية»، كان دأب «دعاة تحرير المرأة»، رجالاً ونساءً الأهم، هو فصل قضية تحرير «المرأة» المسلمة عن قضية تحرير «الوطن»

المسلم، وفصل قضية الظلم الواقع عليها عن قضية الظلم الواقع على الرجل المسلم: تجزئة للقضية الواحدة من أجل أن تتفتت في مسارات متباينة متعارضة؛ بل ومتصارعة، إذ لم يقف الأمر عند هذه التجزئة بل تعداه إلى أن جُعلت المرأة المسلمة تقف خصمًا أمام الرجل المسلم، وأمام الوطن المسلم، تقف خصمًا ضد شريعتها، تمتلىء رعبًا وهلعًا كلما قيل لها: **«هناك من يطالب بتطبيق حكم شريعتك»**، وتنفرج أساريرها فرحة كلما وُجِّهَتْ ضربة إلى الشرع الحنيف عن طريق سن المزيد من القوانين العَلمانية المستمدة من قوانين الغرب.

الصحافة المغرضة
لسان الأمة المسموم*

الصحافة: هي فنّ التأثير على الناس، وقد كانت ـ ولاتزال ـ أخطر وسائل توجيه الرأي العام، **فهي الزاد اليومي** الذي يصل إلى أيدي عموم النـاس، وهي بأبوابها المختلفة المتنوعة تنوع ألوان الطيف بل أكثر، قادرة على تقديم مفاهيم من شأنها إن تحمـل قراءهـا على تقبلهـا، والاقتنـاع بها عن طريق الخـبر، والصـورة، والكاريكاتير، والتعليق، وهي قادرة على أن تقدم وجهة النظر التي تراها متفقة مع الخط الذي تدافع عنه، وهي تستطيع أن تضخم ما تدافع عنه وإن كان حقيرًا، وأن تُصَغِّرَ ما يُعـارضهـا وإن كان جليلاً، ومقياسهـا في هذا الأمر تلك الخلفية الفكرية، والخُلُقِيَّة التي تحكم المشرفين عليها، وهم لا يملكون في أغلب الأحيان من العلم والفكر والخُلُق ما يؤهلهم لحمـل هذه الأمانة الموسدة إلى غير أهلها، وهم ـ أيضًا ـ في غالبهم ـ يمثلون «**الطابور الخامس**» الذي يخدم أهداف الغزو

---

* بتصرف من كتاب «الرد العلمي على كتاب تذكير الأصحاب» للمؤلف ص (٢١٣-٢١٥).

الثقافي والسلوكي والحضاري الغربي، في ترويض الأجيال المسلمة وتعبيدها «لسيدهم» الغربي!

● **والصحافة المغرضة لا تتوخى الحقيقة، ولا تحترم المنطق، ولا تهتم حتى بحسن المنظر أمام القراء، وإنما كل همها تحقيق الغلبة ولو بالباطل، بأي ثمن، ولو على حساب الحقيقة.**

لا بُورِكَتْ تلك الأكفُّ فإنها
ضَرَبَتْ على الألباب سَدًّا عاتيا
حجبت صديع[1] الرشد عنها فارتمت
تجتاب ليل الغيِّ أسفَع داجيا
بعثوا الصحائف يلتوين كأنما
بعثوا بهن عقاربًا وأفاعيا
صحف يَزِلُّ الصدق عن صفحاتها
ويظل جد القول عنها نابيا[2]

ومن حيل الصحافة المغرضة، والتي سخرتها لتضليل الناس في قضية **«المرأة»** بالذات: أنها ـ من باب: **«ذرِّ الرماد في العيون»** ـ تستخدم حقائق إسلامية، ثم تذيغ بها عن وجهها إلى أغراضها، وقد تواري تلك الأغراض وراء ستارٍ من دعوى

(١) الصديع: الصبح.

(٢) انظر: «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» (١/ ٢٢٠).

التجديد والاجتهاد، لتُحْدِث بادعائها ثغرة في جدران وقلاع وحصون المنظومة الإسلامية الفكرية، تنفذ من خلالها إلى ما هو أخطر، ولتمارس بذلك عملية «تلميع» الباحثين عن الشهرة ولو بأي ثمن، ثم ترمي بهم بعيدًا بمجرد استنفاد أغراضها، لتبدأ مرحلة جديدة من الحرب السافرة.

ومن خصائص الصحافة المغرضة :

استعمال سلاح التعبير عن الحق وأهله، بالألفاظ القبيحة والمنفرة: كأن يصفوهم بالتطرف والجمود والرجعية، والتخلف والإرهاب، والتعصب، والهوس.. إلخ، والدافع إلى ذلك هو أن قلوبهم مشربة بالحقد، وعيونهم ناظرة بعين العداوة التي تُظْهِرُ المحاسن مساوىء:

نظروا بعين عداوةٍ لو أنها
عينُ الرضا لاستحسنوا ما استقبحوا

● **قال الإمام الحافظ المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى :- «.. وإذا تأمل العاقل الفطن هذا القدر وتدبره، رأى أكثر الناس يقبل المذهب والمقالة بلفظ، ويردها بعينها بلفظ** آخر، وقد رأيت أنا من هذا في كتب الناس ما شاء الله، وكم رُدَّ من الحق بتشنيعه بلباس من اللفظ قبيح..

فلا ينفر من هذا المعنى الحق - لأجل هذه التسمية الباطلة - إلا العقول الصغيرة القاصرة، خفافيش البصائر، وكل أهل

نحلة ومقالة يكسون نحلتهم ومقالتهم أحسن ما يقدرون عليه من الألفـاظ، ومقـالـة مخالفيهم أقبح ما يقـدرون عليه من الألفاظ، ومن رزقه الله بصيرة فهو يكشف بها حقيقة ما تحت تلك الألفاظ من الحق والباطل، ولا تغتر باللفظ، كما قيل في هذا المعنى:

تقـول هذا جنـى الـنـحـل تمدحُـه
وإن تشـأ قلت: ذا قيْءُ الـزنـابـير
مدحًـا وذمًّـا ومـا جاوزت وصـفَـهـما
والحقُّ قد يعـتريـه سُوءُ تعبـير»اهـ

ومن خصائص الصحافة المغرضة:

الـترويـج للباطل عن طريق تسليط الضوء عليه، وعزل الحق عن دائـرة الضوء، والمبالغة في إظهار المخالفين بمظهر العاجز عن الإتيان بدليل، واتهامهم - مع ذلك - بالبعد عن الموضوعية، والانحراف عن المنهج العلمي، الأمر الذي يصدق عليه قول القائل: «رمتني بدائها وانسلَّت».

ومن خصائص الصحافة المغرضة:

استخـدام قاعدة «ما تكرر تقرر»؛ والمبنية على أساس أن الناس مستعدون لتصديق كذبة سمعوها ألف مرة، أكثر من استعـدادهم لتصـديق حقيقـة لم يسمعـوهـا إلا مرة واحدة،

والهدف هو أن تتمرن آذان الناس على سماع المفتريات، وبالتالي تألفها قلوبهم، وتستقر في عقولهم، على أنها حقائق مؤكدة.

ويندر في الصحافة المغرضة أن تكون بمنأى عن الدوران في فلك أعداء الإسلام، وخدمة أغراضهم في تدمير مقومات القوة في أمتنا، ولقد وصف «محمد التابعي» - الذي كانوا يعدونه أستاذ جيل الصحافيين الذين خرجتهم مجلة «روز اليوسف» - واقع الصحافة يومًا، فقال ما نصه:

«هذه الصحيفة صنيعة أمريكا، وهذه الصحيفة مأجورة للإنجليز، وهذه المجلة تصدر بأموال شيوعية، وهذا الصحفي يتلقى أوامره ومرتبه الشهري من موسكو أو وارسو أو براج.

وهكذا أصبحنا جميعًا نحن الصحفيين بين فاسدين ومفسدين، ومنافقين وخونة، مأجورين للكتلة الغربية، والكتلة الشرقية، وأصبح الشعب في حيرة من لسانه المسموم: الصحف التي أيدت الطغيان، ودافعت عن الفساد، الصحفيون الذين مرغوا جباههم تحت أقدام الطغيان، بعد أن أسفر الطغيان»[1].

---

(1) «أخبار اليوم» (٢٥/١٠/١٩٥٢).

دور الصحافة في حركة (تدمير) المرأة[1]

أولت الصحافة (اليومية والأسبوعية) اهتمامًا كبيرًا للمرأة، وظهرت صحف متخصصة لقضايا المرأة، تحمل ذلك الفكر الذي يعتمد على مفاهيم مُضلّلة عن حرية المرأة، وعمل المرأة من خلال مفهوم يقوم على الهجوم الدائم والمتصل على كل الدعوات التي تحمل لواء مسئولية المرأة في المنزل، ورسالتها الحقيقية في الأسرة، والزواج وتربية الأبناء، وتركِّز على مجموعة من المفاهيم الخاطئة، كالقول بأن عمل المرأة من شأنه أن يزيد دخل الأسرة ماديًّا، وأن المرأة تعاون الزوج في نفقات البيت، ثم تركز على مسائل الأزياء الجديدة، وكل ما يتصل بالزينة والملابس والإغواء، وهي تتمثل بأن هناك عداءً للمرأة يحمل لواءه الرجل، وأن نظم الزواج والطلاق لا تحقق للمرأة رغبتها في التحرر، وامتلاك الإرادة، والقضاء على «ما يسمى بالقوامة»، وتستمد هذه الكتابات مفاهيمها من دعوة منحرفة، تقودها منظمات عالمية هي في الأغلب على صلة بالصهيونية العالمية، وتعتمد على عبارات مسمومة مما يتردد في كتابات بعض دعاة الهدم أمثال: (سيمون دي بوفوار)، و(فرانسوا ساجان)، وكثيرات ممن يجرين في نفس الفلك.

(١) بتصرف من «الصحافة والأقلام المسمومة» لأنور الجندي.

● ولعل مجلتي (حواء) و(الشرقية) كانتا أشد المجلات عنفًا وجرأة في هذا المجال، حيث تُشَنُّ حملات مستمرة شديدة متصلة على كل قيم الإسلام، وقد حملتا حملات واسعة على حركة العودة إلى الله التي ظهرت في مجال الطالبات الجامعيات، والدعوة إلى الحجاب الإسلامي، ووصفتا هذه الحركة بكل تحقير، كما أعلنتا خصومتهما لكل دعوة إلى الملابس المحتشمة أو أخلاقيات الملابس، وسخرتا من القائمين بها، كما حملتا على القائمين على حدود الله في أمور الطلاق وتعدد الزوجات.

ومازال المجلات النسائية في مصر والبلاد العربية تحتضن في أعماقها خلفية من الكراهية للمفهوم الإسلامي، وتعليمًا واضحًا لبثّ هذه السموم يومًا بعد يوم.

لقد حرصت الصحافة العربية على أن تغير العرف الإسلامي العام في مجال الاجتماع، والمرأة والأسرة، والعلاقة بين الرجل والمرأة، مستهدفة تحطيم ذلك الحاجز القوي الذي أقامه الإسلام على أساس المحافظة على العرض والشرف والخلق، وتنطلق النظرة الغربية الوافدة التي تحمل لواءها الصحافة العربية من خلفية آثمة، تستهدف إخراج المرأة من دائرة حياتها الحقة، من موقعها الأصيل، لتكون أداة تسلية ولهو وإفساد، كما تصور ذلك بروتوكلات صِهْيَوْن تحت اسم تحرير المرأة، وحقوق المرأة، وقد أكد كثير من الباحثين أن المرأة لاتزال

سلعة يتلاعب بها يهود العالم، وأن الصحافة هي وسيلتهم الكبرى في ترويج هذه السلعة.

إن من أشد مقاتل الصحافة ومصادر اتهامها أنها لا تقدم الحقيقة للمرأة، وإنها تفضل أن تقدم لها الرأي المضل الخادع الغاش، وأنها تخفي الحقائق الأصيلة، وتحجبها، لأنها تتعارض مع هدفها الأساسي من التدمير.

مثال ذلك، أنها تكثر من تقديم كتابات الغرب الداعية إلى الفساد، وتتجاهل عمدًا عشرات الأبحاث الجادة التي تكشف الحقيقة، والتي كتبها غربيون منصفون، يحذرون من مخاطر المنزلق الذي هوت إليه المرأة.

● **ففي قضية (عمل المرأة وحريتها)** حذر الكثيرون من أمثال **(ألكس كاريل)**، والكثيرات ومنهن **(مارتن باولي)** من أخطار انهيار الأسرة بسبب تمرد المرأة على التزاماتها التي توثقها بالأسرة، وبسبب اندراج عدد كبير من الزوجات في العمل خارج المنزل، مما يخضعهن لسلطة أخرى هي سلطة المؤسسات وقوانينها، مما أدى إلى ارتفاع معدل الطلاق إلى ما يقارب الخمسين بالمائة من عدد الزيجات، وتغيرت صورة المنزل التقليدية، وأصبحت مجرد خيال... حتى العلاقة بين الآباء والأبناء، أصبحت تقلبها الرياح، وتعصف بها الشكوك.

وفي مسألة «تحديد النسل»: كشفت دراسات غربية كثيرة

عن فساد الدعوة إلى تحديد النسل، وكيف أن الغرب يدعو في دياره إلى ما يضادها من تشجيع النسل، وكيف أن قادة الدين النصراني رفضوا الموافقة على تحديد النسل.

وكشفت **الأبحاث** عن أخطار طبية واجتماعية، نتيجة حبوب منع الحمل، **ولكن صحافتنا تحجب هذه الجوانب**.

وفي مجال قضايا الأسرة والشباب كشفت دراسات كثيرة في مقدمتها كتابات (**برتراند راسل**) عن فساد الأسرة في المجتمع الغربي، الذي تصوره لنا الصحافة العربية أنه المثل الأعلى.

إن الصحافة العربية متهمة بأنها تخفي عن قومنا أن المرأة في الغرب تجأر الآن بالشكوى، وتطلب العودة إلى البيت.

ويمكن تلخيص عمل الصحافة في سبيل إفساد المرأة المسلمة في ميادين مختلفة:

أولاً : في مجال الدعوة إلى حريتها الزائفة، وغرس الشعور «بالقومية النسائية» عن طريق التهليل والتصفيق لكل امرأة، وليت عملاً من الأعمال: منادية في البورصة، سائقة تاكسي، كنّاسة في شوارع روسيا.. إلخ.

ثانياً : إشاعة جو من التبرج الصارخ، والتمرد على الفطرة من خلال قنوات الصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية، والسينما، والمسرح، والقصة، وغيرها، والإفاضة في شأن الموديلات والسهرات ومسابقات الجمال، وأخبار الفاسقات من

الممثلات والراقصات، والإلحاح في ذلك حتى يوجدوا لدى الجميع انطباعًا بأن هذه صورة المجتمع الطبيعية التي لا مناص من الإقرار بها ثم الاندماج فيها.

وبينما يدعو الإسلام المرأة إلى إغماد سلاح الفتنة أمام الرجال، وتجنب مخالطتهم والاحتجاب عنهم، تدعو الصحافة إلى الملابس الضيقة والعري وإيقاد الشهوات.

ثالثا: تعمل الصحافة جاهدة لتحقيق هدف خطير ألا وهو: دمج الرجولة في الأنوثة، وتحويل الأنوثة إلى رجولة والعكس، وإلباس الرجل ثياب المرأة، والمرأة ثياب الرجل، وذلك معارضة لحكمة الإسلام في حتمية الفصل الدقيق والعميق بين الرجل والمرأة.

رابعا: دعوة الصحافة إلى إغراء المرأة باتخاذ حبوب منع الحمل، تحمل في طياتها خطرًا شديدًا، فإن انتشار هذه الحبوب بلا رقابة من شأنه إشاعة الفاحشة، والترويج للحرام، وهدم الأسر.

خامسا: تستهدف الصحافة من وراء نشر عشرات **الحوادث المخلة، والإغراء بها،** وكذا ما تنقله عن المجتمعات الغربية تستهدف بذلك أن تبدو العلاقة المحرمة في نظر الناس سهلة يسيرة، بل مقبولة، ويحاول بعض الصحفيين الإيحاء بين الناس أن الشرف والفضيلة والعرض كلها مسائل تافهة لا

يتمسك بها إلا السذج والبسطاء والرجعيون؛ تقول (أمينة السعيد): «الحرية الجنسية في البلاد الأخرى طاغية في خطابات القراء عندهم، فإذا وجدوا بنتًا معقدة شجعوها أن تنطلق جنسيًّا، وتمارس حياتها بلا حدود، عندنا البنت عندما تخطيء تكاد تقتل نفسها، هناك يقولون: «إنها إحدى تجارب الحياة، ستتعلمين، واحترسي في المرة القادمة»، إذا كانت حاملًا دون زواج ويقولون: «وما له؟! أعط الطفل أمومتك، وربيه، وواجهي به المجتمع» يعني شيء مختلف لا يمكن أن يسري عندنا..» اهـ.

وجاء في مجلة «صباح الخير»: «إن نظام الزواج في وطننا العربي هو نظام مضحك يدعو إلى السخرية: مهر، وعقد.. مظاهر جوفاء تُقتل فيها الإرادة، وتقتل المشاعر الإنسانية» اهـ.

وتقول (عايدة ثابت)، في (أخبار اليوم) تاريخ (١٧ سبتمبر ١٩٧٠م)، وهي تتحدث عن المجتمع الأوربي تحت عنوان: (حرية الفتاة بلا حدود):

«إن ما نسميه نحن انحلالًا يفعلونه كأي ظاهرة طبيعية أخرى، فلم يعد في هذا المجتمع شيء غير مباح وغير مقبول، ولم يعد الشباب يواجه في سلوكه وعلاقاته كلمة (ممنوع)» اهـ.

● ولقد عمدت الصحافة إلى الغش والتمويه وذلك في طرق عرض الجرائم الخلقية، وهي تعرف أن أخبار الجرائم الأخلاقية

تثير النفوس، فتعرضها على نحو تُهَوِّنُ فيه من شأنها، وتوحي من وراء التعدد والموالاة والتكرار أن الظاهرة عامة، وأنها طبيعية، وأنها لا تؤثر على المجتمع.

وهي لا تحاول مطلقًا أن تقدم مع الحدث الوجهة الصحيحة أو الدرس المستفاد، أو الدعوة إلى الإصلاح، فذلك أمر تتجاهله تمامًا، ولا ريب أن موالاة عرض الجرائم والأحداث أسبوعًا بعد أسبوع، ويومًا بعد يوم، وإعداد صفحات دائمة، وأبواب ثابتة لها هو من أخطر ما تقوم به الصحافة في سبيل توهين روابط المجتمع، وليس عملها في هذا المجال أقل من اهتمامها بنشر التفصيلات الوافية عن أفلام الجريمة والفحش.

وهناك في الصحافة النسوية اهتمام بالغ بالموضة (أي بالأساليب المتجددة للزي)، وهناك إصرار بالغ واهتمام كبير بهذه التغييرات، وبالرغم من الأخطار التي يتحدث الباحثون عن آثارها في المرأة فإن موجة الاندفاع لا تتوقف، يقول واحد من هذه الأبحاث:

«إن المجتمع يدفع المرأة إلى الجنون، ففي كل دقيقة تظهر موضة جديدة، وفي كل لحظة هناك منتجات ظهرت خصيصًا للمرأة، وتجد المرأة نفسها منجذبة نحو هذا التيار الجارف من المعروضات لدرجة تكاد تدفعها إلى الجنون، إنها تريد أن تجرب كل شيء، وتشتري كل شيء، وعندما لا تستطيع تصاب بعقدة».

ويقـول علماء النفس: «إن المـرأة التي ليس لها رصيد من القناعة، يُصبح لها رصيد من العقد، فهناك آلاف من الأشياء التي تجذب المـرأة إليها، والتي تجعلها تفقد الاهتمام بزوجها، والحل هو أن المرأة عليها أن تلزم التوازن، وأن تُحدّد باقتناع ما تريد، وتزن الأمور حتى لا تصبح في النهاية فريسة للضياع في بحر من العقد».

سادسا: **ومن أخـطر محاولات الصحـافـة بالنسبـة لتغيير العـرف الإسلامي للمرأة هي رفع قدر الممثلات والراقصات والمغنيات**، وجعلهن مثلاً أعلى للفتاة في أمور الملبس والمأكل، والعادات والتقاليد.

سابعا: **ومن ذلـك الـدعوة إلى إلغاء قوامة الزوج على زوجته**، تقول (**أمينة السعيد**): «**القوامة اليوم لا مُبرّر لها، لأن هذه القـوامـة مبنيـة على المزايا التي كان الرجل يتمتع بها في الماضي، في مجال الثقافة والمال، ومادامت المرأة استطاعت اليوم أن تتساوى مع الرجل في كل المجالات، فلا مبرر للقوامة**» اهـ.

ولاريب أن هذه الآراء المسمـومـة التي ترددهـا (أمينـة السعيـد)، هي نفسهـا التي طرحتهـا (سيمون دي بوفوار)، ومجمع المؤامرات المنعقد ضد المرأة المسلمة.

ثامنا: فسـاد توجيـه الصحـافـة لطالبـات الإجابة عن

المشكلات والقضايا، وما يتخلل الردود من سخرية واضحة بالدين، واستهانة بالخلق، ودعوة إلى التخفف من العقوبات الشرعية، واللامبالاة الاجتماعية بالآثام، والميل إلى اعتبار الآثام الخلقية داخلة في إطار الحرية الشخصية.

تاسعا : حملت الصحافة حملات شعواء على العلماء الذين قدّموا حكم الإسلام في المرأة، في مواجهة سمومهم وضلالاتهم وذلك كما فعل الصحافي الذي أسماه أبوه: «أحمد بهاء الدين»، والصحافي الصليبي «موسى صبري» وغيرهما.

عاشرا : حاولت الصحافة تصوير الدعاة «إلى تحرير المرأة» بأنهم أنصارها الذين يريدون لها الخير، والحرية، والواقع غير ذلك، فإن هؤلاء هم أعداؤها الحقيقيون، الذين يدعونها إلى النار، ويقودونها إلى الهاوية، وصدق الله العظيم: ﴿والله يُريد أن يتوبَ عليكم ويُريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلُوا ميلاً عظيمًا * يُريد الله أن يُخفّف عنكم وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفًا﴾.

[النساء الآيتان ٢٧، ٢٨].

وقفات مع بعض الصحافيين الكارهين لما أنزل الله والداعين إلى ضلالة (تحرير المرأة)

١ ـ إحسان عبدالقدوس :

وهـو أحـد المسئولين عن إفساد هذا الجيل، بما كتبه من روايات تجر الشباب جرًّا إلى القاع، وتقتل فيهم نوازع السمّو والسعي نحـو مستـوى خلقي أفضـل، إنـه يرضى مظاهـر واتجاهات الانحراف، فيشجعها ويمجدها ويفلسفها، ويرصد اتجاهات الاستقامة والفضيلة فيخذلها، ويَصُدُّ عنها، ويُحاربها.

يقول (إحسان): **«إن إيماني بحرية المرأة ليس له حدود»**.

وقد كتب في إحدى توجيهاته التي كان يبثها في المجلة التي تحمـل اسم والدته (روزاليوسف): **«إنني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها، وتذهب إلى أبيها، وتقول له: (هذا صديقي)!»**، وقال في (أخبار اليوم): «إنه زار إحدى الجامعات الألمانية، ورأى هناك من أوضاع الطلبة والطالبات كذا وكذا ـ مما يرفَضُ جبين القلم من الخجالة بتسطيره ـ ثم قال: «فقلت في نفسي: متى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط؟! لكي تراه عيون أهل الصعيد، وتتعود عليه؟!» اهـ.

٢ ـ نجيب محفوظ :

الشاك في كل قيمه، المتذبذب في كل فكره، الضائع في كل واد، المتحدي لعقيدة الأمة، والمتجه ناحية المشارب الأخرى يعبّ منها حتى يطفح، فيفيض ما عليه على غيره، وينتكس بعد ذلك إلى غيره.

وقد اتضح في آثاره ظاهرتان خطيرتان:

أولاهما إشاعة الفاحشة، وتبريرها.

وثانيتهما الإلحاد، ولهذا يوليه الماركسيون اهتمامًا خاصًا، وقد استخدموه في دعوتهم إلى الإباحية وإلى المفاهيم الهدامة للأسرة والفتاة، وعمل المرأة، وعلاقتها بالرجل[1].

---

(١) وإذا عرفنا أن «نجيب محفوظ» أو «سلمان رشدي المصري» هو صنيعة «طه حسين»، و«سلامة موسى» لم نستغرب اجتهاده في تحطيم الشباب، فإن أستاذيه كانا يعرفان أنهما يقدمان سُمًّا من نوع خطير إلى الأجيال الجديدة، فيخدمان به دعوتهما، ويكونان جيلاً يحمل أفكارهما.

من أجل ذلك حرص أعداء الإسلام على بعث إلحاده وفجوره، ونفض التراب عن دعوته الجاهلية التي انقشعت أمام نور الصحوة الإسلامية، فقامت أيديهم الآثمة الخاطئة بمنحه ما يسمى بـ «جائزة نوبل» للآداب لعام ١٩٨٨م، لتأليفه رواية «أولاد حارتنا».

وجاء في حيثيات الترشيح الرسمية أن الرواية تعني بالبحث الأزلي للإنسان عن القيم الروحية، فآدم وحواء وموسى وعيسى ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والرسل يظهرون في تخفٍّ طفيف) اهـ وقد نشر ملخص هذه =

٣ - مصطفى أمين :

خريج مدرسة (التابعي)، والصحافي البارع في وضع السموم في علب ملونة حلوة المظهر تخدع القراء، قال الأستاذ (أنور الجندي) «كان (مصطفى أمين) يصنع الأصنام ويعبدها، ويحاول أن يجر الشعب معه ليسجد لتلك الأصنام»، ومن مواقفه إزاء حركة الإصلاح الإسلامي قوله:

«حارب الأحرار في هذه البلد سنوات طويلة لتحصل المرأة على بعض حقّها، ويظهر أن بعض الناس يريدون العودة بنا إلى

= الرواية بجريدة النور عدد (٢٢ ربيع الأول ١٤٠٩هـ)، فإذا بها تتضمن الإلحاد في ذات الله، والتفريط في جنب الله، والاستهزاء بكعبة الله، والتطاول على مقامات أنبياء الله، وتجريح رسل الله، بما فيهم موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والاستخفاف بملائكة الله، بحيث يتحقق في صاحب هذه الرواية قول القائل:

وكنت امرءًا من جند إبليس فارتقى

بي الحال حتى صار إبليس من جندي

ولا نبالغ إذا قلنا في ضوء هذه الرواية التي رقعت بوثنيات اليونان، وإباحيات الرومان، وخبث الماسون، وإلحاد الماركسيين، لا نبالغ إذا قلنا إن انتساب «نجيب محفوظ» إلى البشرية عار على الجنس البشري، وأولى به أن يرجم كرجم العرب قبر أبي رغال، وإن الكفر البواح، والشرك الأكبر الذين تلبس بهما ليجعلانه عدوًا لدودًا لكل ذي دين ولو كان يهوديًا أو نصرانيًا، بَلْهَ المسلم الموحِّد.

الوراء، وقد يحدث هذا في أي مكان، ولكن لا نفهم أن يحدث في الجامعة مهد التقدم والفكر الحر».

ومع أنه قلما يُفْصِح عن أهدافه، إلا أنه كتب يومًا تحت عنوان: «**الأهداف التي ستعمل لها مصر بعد الاستقلال**»، وجعل من أهدافه التي سيُعْنَى بها، ويقود لها الرأي العام: «**أن يحارب التعصب الديني**، وأن يجدد الأزهر، وأن ينادي بتحرير المرأة قلبيًّا، لأن الحب الطاهر لايزال جريمة يعاقب عليها المجتمع، والمجتمع المصري إلى اليوم مجتمع لا روح فيه لأنه خالٍ من المرأة، والشباب المصري لا شخصية له، لأنه ليس في حياته امرأة.. **ومن أهدافه: أن يشجع المرأة** على المطالبة بحقوقها السياسية، وتولي الوظائف، وأن ترث كما يرث الرجل تمامًا، وأن يدعو إلى اتحاد شرقي لا اتحاد إسلامي، على نظام الولايات المتحدة الأمريكية»، ومع أن من أسمى ما تطمح إليه الأمة في هذا العصر هو تطبيق الشريعة الإسلامية نجد **(مصطفى أمين)** يُسَفِّهُ هذا المطلب، ويقول: «**إن حضارة مصر عمرها سبعة آلاف سنة، ولا يمكن أن تعود القهقري إلى الخلف**».

٤ ـ أنيس منصور :

الضَّالّ، التائه، التافه، الذي لم يدّخر وسعًا في صرف الشباب عن دينهم الحقّ، وإحياء الأساطير الوثنية، والذي لم

يأل جهـدًا في الترويج للراقصات والفاجرات بشتى الطرق،
ومن جولاته الفاجرة ضد الفضيلة قوله: «سوف تكون خيوط الموضة هذا الشتاء محتشمة جدًا، وسخيفة جدًا، لأن الفساتين سوف تكون طويلة وواسعة، وسوف تبدو المرأة وكأنها شماعة تحمل هذه الفساتين، وأن ما بينها وبين هذه الفساتين خصام»،
ثم يصف في عبارة بذيئة هذه الثياب إلى أن يقول: «ثم إن الفساتين تبدو وكأنها إهانة للمرأة، فلا الساقان ظاهرتان، ولا . . ولا . . ولا الذراعان، والعنق، كأنها أنواع مختلفة من الخيام، «إن المرأة قد ضربت حولها وأمامها ووراءها الخيام فلا يراها أحد»، ثم يقول: «إن ملوك الأناقة عوّضوا المرأة عن هذه الخيمة بأشكال جميلة من قمصان النوم، ومعنى ذلك أن الموضة ستجعل المرأة جميلة في البيت، وغير ذلك في الشارع، على الرغم من أن المرأة حريصة على أن تبدو جميلة لكل الناس، فإنها تفضل أن تكون جميلة لشخص واحد، والمرأة التي لا تسعد برجل واحد، فإنها تحاول أن تلفت عيون الآخرين، ولذلك فإن المرأة تسارع إلى الشارع، وتتمتع بنظرات الناس إليها، لأنها لا تجد هذه المتعة في البيت» اهـ.

٥ ـ نزار قباني:

وهو من عصابة المُجَّان الكارهين لما أنزل الله، المحرضين على الفساد والفاحشة، يقول في بعض أحاديثه: «لو كنت

حاكمًا لألغيت مؤسسة الزواج، وختمت أبوابها بالشمع الأحمر»، ويقول مستهزئًا: «العري أكثر حشمة من التستر»، وقد حمل لواء الرفض لكل ما يمتّ إلى الإسلام والعروبة بصلة، ويعده المتحررون من أعمدة الدعوة إلى تحرير المرأة.

موقف الإسلام من دعاة تحرير المرأة:

إذا كان حال هؤلاء الدعاة والداعيات كما قدّمْنا، وولاؤهم لأعداء الإسلام كما وصفنا، فهل يحتاج الأمر منا إلى كثير تدبر فيما ينبغي أن يكون عليه موقف كل مسلمة ومسلم من دعوتهم الأثيمة؟

أليس هؤلاء ممن قال تعالى فيهم: ﴿إن الذين يُحِبُّون أن تَشِيعَ الفاحشة في الذين آمنُوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة﴾. (النور، الآية ١٩)؟ وإذا كان القوم أُشْرِبَتْ قلوبُهم حُبَّ الكافرين، وأُولِعُوا بما هم عليه من الضلال المبين، فأين أنتِ أيتها المسلمة من قوله تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين * ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تُقاةً ويحذّركم الله نفسه﴾(آل عمران، الآية ٢٨)؟!

وقوله تعالى: ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾(المجادلة، الآية ٢٢)

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تُطيعوا الذين كفروا يَردّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين﴾. (آل عمران، الآية ١٤٩). وقوله: ﴿وإن الشياطين ليُوحُون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ (الأنعام، الآية ١٢١).

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا تلاوة سورة الفاتحة في اليوم والليلة سبع عشرة مرة، في كل مرة ندعو الله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم﴾، ثم يبين سبحانه صفة هذا الصراط بقوله: ﴿غير المغضوب عليهم﴾، وهم اليهود، ﴿ولا الضالين﴾، وهم النصارى - فما ذاك إلا لأنه لا يمكن للمسلم أن يستقيم إلا إذا خالف أصحاب الجحيم، وتميز عن هديهم وطريقهم: ﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه * ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله﴾.

كيف إذن نصدق هؤلاء الأفاكين، وننقاد لأولئك المغررين من أعداء ديننا وأمتنا، الذين يخبرنا سبحانه عما في قلوبهم بقوله: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (البقرة، الآية ١٢٠)، وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانَةً من دونكم لا يألونكم خَبالاً ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تُخفى صُدورهم أكبر قد بينا

لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾. (آل عمران، الآية ١١٨).

فيا أيتها الأخت المسلمة :

إن أيديهم الماكرة الخبيثة الخادعة قد امتدت إليك في هذه الفتنة لتنزلك من علياء كرامتك، وتهبط بك من سماء مجدك، وتخرجك من دار سعدك، فاقطعيها بسرعة وبقوة، فإنها يد مجرمة ظالمة، واهتفي بما هتفت به من قبل «عائشة التيمورية»:

بيَدِ العفافِ أصونُ عِزَّ حجابي ... وبعصمتي أعلو على أترابي
وبفكرةٍ وقَّادةٍ وقريحةٍ ... نقَّادةٍ قد كَمُلت آدابي
ما ضرَّني أدبي وحسنُ تعلّمي ... إلا بكوني زهرةَ الألباب
ما عاقني خَجَلي عن العليا ولا ... سَدْلُ الخمارِ بلُمَّتي ونقابي

واحذري من الذين :

قالوا ارفعي عنكِ الحجابا ... أوَ ما كفاكِ به احتجابا
واستقبلي عهدَ السفو ... رِ اليومَ واطّرحي النقابا
عهدُ الحجاب لقد تبا ... عَدَ يومُه عنا وغابا

ألقميهم الحجارة، وأخرسيهم قائلة :

فأجبتُهم والضِّحْكُ ملءُ ... فمي ولم أُعْدَمْ جوابا
مَهْلاً فما هذا الذي ... قد غَرَّكم إلا سرابا

أَوَلاَ تَرَوْنَ الـغـرب كيـ   ـفَ غدا الرجالُ به ذِئابا
أَوَلا تَرَوْنَ عُرى الـ   أخـلاقِ تنشعب انشعابا
كم نظرة للوجـه تُو   رِث في الحشا جمرًا مذابا
إن ترغبـوا لنسـائكم   صَوْنًا وعيشًا مستطابا
فَدَعُـوا السـفـورَ لأهله   وارخـوا عليهن النقـابا

السياسة في المعركة

معركة سلاحها الأقلام :

رأينا ـ فيما سبق ـ كيف تحولت قضية (**تحرير**) المرأة المسلمة إلى حملة (**سفور**) مسعورة ضد الحجاب، وكيف أخذت كلمة (**تحرير**) مدلول (**السفور**)، برغم أن التحرير في الإسلام يأخذ مدلول الحجاب، فكانت المحجبة هي «**الحرة**»، والسافرة ـ أي التي تكشف وجهها ـ هي «**الأمة**»، فكان **السفور** عنوان العبودية، أما في ظل دعاة التحرير فإن **الحجاب** عندهم هو عنوان العبودية.

وتابعنا فيما مضى بعض فصول المعركة الفكرية التي انتصر فيها (**السفور**) على (**الحجاب**)، وكانت ساحة هذه المعركة في الغالب صفحات الصحافة، ثم الكتب والمطبوعات، وقاعات الجامعة، وسائر وسائل الإعلام. .

وقد كانت هذه الوسائل في أيدي **دعاة السفور**، ومن ثم لم تكن **المعركة متكافئة** ولم تكن الحرب **عادلة**، خاصة إذا انضم إلى ذلك ادعاء السفوريين أن السفور جاء نتيجة طبيعية للتطور الحضاري المرتقب، وأن السفور هو اختيار المرأة ذاتها، ورغبتها الفعلية الحرة من أجل خلاصها من العبودية.

بل لم يبخـل السفوريون بأن **يخدعوا أنفسهم**، أو يُخادعوا الإسـلاميين بقـواعد شرعية صحيحة يحرفونها عن مواضعها، ويستدلون بها **لتسويغ** باطلهم.

وتطوع علماء السوء بالتزلف ـ تحت ضغط «سيف المعز»، و«ذهب المعز»، وراحوا ينتزعون من النصوص الشرعية ما يمكن أن يُسَوِّغَ للحكام مخالفتهم للشرع، هؤلاء الحكام الذين راحوا يتشدقون بأن: **(الدين في نظرهم ثقافة ليس إلا)**، وأنه **(لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين)**، هم أنفسهم رحبوا بالدين طالما صلى لهم من يسمـونهم «رجـال الـدين»[1]، «صـلاة الاستسقاء» إذا عطشوا، و«صلاة النصر» إذا انتصروا، و«صلاة الحاجة» إذا مرضوا، ثم «صلاة الجنازة» إذا ماتوا.

معركة سلاحها البطش:

إذا كانت دعوة «تحرير المرأة» أساسًا دعوة استعمارية أَسَّسها الاستعمار، وربى دعاتها على موائده، ومكّن تلاميذه من نشرها.

وإذا كان هؤلاء السفـوريون قد سلكـوا تلك الأسـاليب

---

(١) اعلم ـ رحمك الله ـ أن مصطلح «رجل دين» دخيل على الفهم الإسلامي الصحيح، لأن كل مسلم هو رجل دين، بمعنى أن عليه واجبات تجاه دينه لابد أن يؤديها، حتى يستحق وصف الإيمان والإسلام.

الملتوية في عرض دعوتهم لتزييف الحقيقة والصد عن سبيل الله.

وإذا كانت أعراض التآمر واضحة في كل خطوة من خطوات حركة تحرير المرأة.. **فهل يمكن بعد ذلك أن يزعم زاعم أن المعركة التي انتصر فيها السفور على الحجاب في بلاد المسلمين كانت معركة شريفة حقًا، انتصر فيها (السفور) لأنه التطور الحضاري المرتقب كما يزعمون، ولأنه الرغبة الفعلية للمرأة واختيارها الحر من أجل خلاصها؟**

وإذا كانت فصول المعركة الفكرية بعد أن انتهت بهذا الانتصار الكاذب قد تحولت إلى معركة حقيقية تفرضها سياسة جائرة تحكم أمة مستضعفة مقهورة، وجنود مسلحون أمام نساء عزل، وقوانين إرهابية، وإجراءات تعسفية، ومشانق تعلق، وبيوت تخرب، وسجون تعمَّر، ونيران تضرم، فهل يمكن بعد هذا كله القول بأنها **معركة شريفة**، انتصر فيها السفور على الحجاب طبقًا للاختيار الحر للمرأة، وأنها ثمرة من ثمرات **«الديمقراطية»** المزعومة، أو **«الحرية»** الأسيرة، أو **«التقدم»** الرجعي الذي يعيدنا إلى الجاهلية الأولى؟

والآن ـ وقبل أن نستأنف عرض تفاصيل المعركة المسلحة ضد الحجاب ـ دعونا نطالع أولاً هذه السطور المضيئة للإمام المحقق ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ، وهو يعدد واجبات أولي الأمر:

مسئولية الحاكم المسلم:

قال رحمه الله[1]: (ومن ذلك: أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفرج ومجامع الرجال.

قال مالك ـ رحمه الله ورضي عنه ـ: «أرى للإمام أن يتقدم إلى الصناع في قعود النساء إليهم، وأرى أن لا يترك المرأة الشابة تجلس إلى الصناع، فأما المرأة المتجالة، والخادم الدون التي لا تتهم على القعود، ولا يتهم من تقعد عنده: فإني لا أرى بذلك بأسًا» انتهى.

فالإمام مسئول عن ذلك، والفتنة به عظيمة، قال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[2]، وفي حديث آخر أنه قال للنساء: «لَكُنَّ حافات الطريق»[3]، ويجب عليه منع النساء من الخروج متزينات متجملات، ومنعهن من

---

(١) «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» ص (٢٨٠-٢٨١).

(٢) رواه الشيخان وغيرهما عن أسامة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) أخرجه أبو داود عن أبي أسيد الأنصاري بلفظ: (ليس لكُنَّ أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق)، وفي سنده مجهول، لكن له شاهد حسن من حديث أبي هريرة بلفظ: «ليس للنساء وسط الطريق»، رواه ابن حبان وغيره، فيتقوى به (صحيح الجامع ٥/٩٨)، وتحقيق «شرح السنة» (١٢/٣٢٢).

الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات، كالثياب الـواسعـة والرقاق، ومنعهن من حديث الرجال في الطرقات، ومنع الرجال من ذلك.

وإن رأى ولي الأمر أن يُفسد على المرأة - إذا تجملت وتزينت وخرجت - ثيابها بحبر ونحوه، فقد رخّص في ذلك بعض الفقهاء وأصاب، وهذا من أدنى عقوبتهن المالية، وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها - ولاسيما إذا خرجت متجملة - بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهنّ على الإثم والمعصية، والله سائلٌ وليَّ الأمر عن ذلك، وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - النساء من المشي في طريق الرجال، والاختلاط بهم في الطريق[1]، فعلى وليّ الأمر أن يقتدىَ به في ذلك.

وقال الخلال في جامعه: أخبرني محمد بن يحيى الكحال أنه قال لأبي عبدالله: أرى الرجل السوء مع المرأة؟ قال: صِحْ به، وقد أخبر النبي، ﷺ: «أن المرأة إذا تطيبت، وخرجت من بيتها فهي زانية»[1].

---

(١) أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي والحاكم والإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري بلفظ: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية»، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: (صحيح الإسناد)، ووافقه الذهبي.

ويمنع المرأة إذا أصابت بخورًا أن تَشهد عشاء الآخرة في المسجد[1]، فقد قال النبي، ﷺ: «المرأة إذا خرجت استشرفها الشيطان»[2].

ولاريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصلُ كل بلية وشرّ، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة) اهـ.

● فهذه نبذة يسيرة مما ينبغي أن يكون عليه الحاكم المسلم، وأن سلطته - بقوة الشرع الذي يجعل طاعته جزءًا من الدِّين - تمتدّ إلى هذه الحدود الواسعة ردعًا للفسقة ومشيعي الفاحشة، ومراعاة لقوله، ﷺ: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسئولٌ عن رعيته: الإمام راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته» الحديث.[3]

---

(١) لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: رسول الله، ﷺ: «أيما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»، أخرجه مسلم وأبو عوانة في صحيحيهما، وأصحاب السنن، وغيرهما.

(٢) رواه البزار والترمذي والطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني (إرواء الغليل ١/٣٠٣) رقم (٢٧٣).

(٣) رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.

قال الله تعالى: **﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مُجرميها ليمكُروا فيها﴾**. (الأنعام، الآية ١٢٣).

وهـذا ما جرى من **«أكـابر مجرمي»** قُرانا حيث تمكن منها تلامذة الاستعمار الأمناء على عهده، الحفيظون لمآربه، وهم قومٌ صغارُ النفوس لا يقف استهتارهم وعِنادهم للشرع عند حدّ، والأمة إذا أسندت أمرها إلى صغار النفوس كبرت رذائلهم لا نفوسهم، وإذا حكم الفاسق فقد حكم الفسق.

لقـد تطرف هؤلاء **«الأكـابـر»** في انجـذابهم إلى طريق الشيطان، حتى خرجوا من الدائرة بالكلية، وصاروا هم في الحقيقة الرجعيين المتطرفين، الداعين إلى الرجعية الجاهلية المظلمة، قبل بزوغ فجر الإسلام.

ومن عجيب أمرهم أنه إذا أنكر عليهم منكر هذا التطرف في حرب الإسلام، احتجوا بأن هذه أمور تخضع للحرية الشخصية، وأنه لابد من التزام مبدأ حرية الرأي والسلوك، أفلا يحتجون بحرية الرأي والسلوك في حقّ من يكفر بنظمهم **«الأساسية»** ويطعن في مناهجهم العَلمانية؟ أم أنهم يغارون على دنياهم، ويستكثرون منّا أن نغار على ديننا؟

يُقـادُ للسِّجْـن مَنْ سَبَّ الـزعـيمَ وَمَنْ
سَبَّ الإلَـهَ فإنَّ الـنـاسَ أحـرارُ

عود على بدء :

والآن نعرض فصولاً من المعركة التي دارت بين الحجاب والسفور في بعض البقاع الإسلامية، وقد تحوّلت من معركة فكرية سلاحها القلم والتضليل، إلى معركة حقيقية سلاحها البطش والإرهاب والتنكيل.

١ - في تركيا :

شرع أتاتورك - عليه من الله ما يستحقه - قانونه لنزع حجاب المرأة المسلمة، وراقب تنفيذه، وعاقب مخالفيه، وشنق معارضيه، **وقام عام ١٩٢٥م بمحاولة إجبار تركيا بأكملها - وليس المرأة فقط - على هجر الإسلام كلية، حتى الحرف الذي تكتب به اللغة التركية متشابهًا مع لغة القرآن، أما نزع حجاب المرأة التركية فقد تم بالإرهاب والإهانة في الطرقات**، حين كان البوليس يقوم بنزع حجاب المرأة التركية بالقوة، وهكذا كان نزع الحجاب خطوة ضمن خطة عَلمانية شاملة، لإزالة كل أثر للإسلام في تركيا مركز الخلافة العثمانية.

٢ - في إيران :

في عام ١٩٢٦م عندما نصب الإنجليز الكولونيل رضا بهلوي شاه إيران مؤسسًا للأسرة البهلوية، **ألغى من فوره الحجاب الشرعي، وكانت زوجته أول من كشفت عن رأسها في احتفال رسمي، ثم أصدر أوامره إلى الشرطة بمضايقة**

النساء اللواتي رفضن الاقتداء بملكتهن، وخرجن محجبات، فما كانت امرأة تخرج من بيتها محجبة إلا وعادت إليه سافرة، فقد كانت الشرطة تنزع حجابها غصبًا، وتستولي على عباءتها، وتهين صاحبتها ما استطاعت إلى الإهانة سبيلاً، وحظر على الفتيات والمعلمات وضع الحجاب، ودخول مدارسهن به، ومنع أي ضابط من ضباط الجيش من الظهور في الأماكن العامة أو في الشوارع برفقة امرأة محجبة مهما كانت صلتها وقرابتها به، وقد كان رضا خان صديقًا حميمًا لكمال أتاتورك، وكان يحرص دومًا على تقليده، واقتفاء خطاه، **وبالفعل كان رضا بهلوي في حربه للإسلام صورة طبق الأصل من أتاتورك.**

وعندما سئل ذلك الشاه عن سبب ضغطه على النسوة في نزع الحجاب، مع أن عجلة التاريخ قد تضمن له تحقيق أهدافه أجاب: **«لقد نفد صبري، إلى متى أرى بلادي وقد ملئت بالغربان السود؟!»**.

٣ ـ وفي أفغانستان :

تولت السلطة **نزع حجاب المرأة بقانون**، وذلك في عهد «محمد أمان».

٤ ـ في ألبانيا :

حارب «أحمد زوغو» الحجاب بقانون، ثم عادت المرأة المسلمة الألبانية إلى الحجاب أيام الحرب العالمية الثانية، ثم عاد

«أنور خوجا» مرة ثانية، وشنّ حربًا شعواء على الحجاب في ألبانيا.

٥ - ثم حاربت روسيا الحجاب في تركستان، والقوقاز، والتشن، والقرم، وسائر ما تحتل من بلاد المسلمين، وهم يبلغون ستين مليونًا.

٦ - وكذلك فعل «تيتو» في يوغوسلافيا

٧ - وفي تونس:

نادى البغيض «بورقيبة» بتخليص المرأة من قيود الدِّين، وجعلها رسولاً لمبادئه العَلمانية.

٨ - في الصومال:

شددت حكومة «سياد بري» حملتها ضد الإسلام في الصومال، وقد طردت مؤخرًا كل طالبة ترتدي الزي الشرعي الإسلامي من المدارس، كما ألغت تفسير القرآن الكريم من المناهج، وتقوم بطرد الطلاب الذين يقبض عليهم وهم يؤدون الصلاة، أو يقرؤون القرآن الكريم في المدارس.

٩ - في ماليزيا:

جاء في (أخبار اليوم) تاريخ السبت (٧ المحرم ١٤٠٦هـ) الموافق (٢١/٩/١٩٨٥م): (أصدرت الجامعة التكنولوجية في ماليزيا قرارًا بإيقاف تسع طالبات عن الدراسة، بحجة ارتدائهن الحجاب الذي تمنعه وزارة التعليم الماليزية، وذكر

مسئول كبير في الجامعة أن قرار إيقاف الطالبات سيظل ساريًا مادام هؤلاء الطالبات يرتدين الحجاب) اهـ.

١٠ ـ معركة الحجاب في مصر :

وضع عبد الناصر وزبانيته كتاب (الميثاق) متأسّيًا في ذلك بإمامه الأول «جنكيز خان»، حيث وضع الأخير كتابه «الياسق»، ليصد الناس عن القرآن، وكان مما جاء بصدد قضية المرأة في (الميثاق): «المرأة تتساوى بالرجل، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التي تعوق حركتها الحرة لتستطيع أن تشارك الرجل بعمق وإيجابية في صنع الحياة» اهـ، وبوحي من هذه الفلسفة العَلمانية المادية اتخذت إجراءات وخطوات حاسمة في هذا الصدد، وصدرت قوانين تقضي:

* بفرض ثلاثين نائبة على الأقل في مجلس الشعب.
* بفرض خمسة وعشرين بالمائة من النساء على الأقل في عضوية جميع المجالس الشعبية والمحلية.
* بجعل الانتخاب والتصويت إجباريًا على كل أنثى تبلغ الثامنة عشرة من عمرها، مع كونهما ليسا إجباريين على الرجل.
* وأخيرًا صدر قانون تعديل أحكام قوانين الأحوال الشخصية الذي خططوا له طويلاً، وتحقق أمل «مرقص فهمي» و«قاسم أمين».

وأعطى الطاغوت المهزوم دائماً عبد الناصر المرأة ما طلبت، وما لم تطلب، وفوق ما كانت تطمح، بل أعطاها تصريحًا بالإمعان في السفور؛ فقد رفض طلب مواطن سأله بصفته رئيسًا للجمهورية أن يوجه نظر الناس إلى أهمية الحجاب الشرعي للمرأة - فيما يتعلق بالملبس فقط - لأنه على حد تعبيره: «لا يريد أن يدخل معركة كبيرة جدًا مع ٢٥ مليونًا من المواطنين»، هم كل تعداد مصر في ذلك الوقت «أو مع نصفهم على الأقل»[1]!

تكلف .. واصطناع :

ومن يتأمل حال القوم يدرك أن اعتراضاتهم على الشرائع الإسلامية تأتي لمجرد الاعتراض، وهذه المطالب التي تلهث المتحررات وراءها لمجرد إسماع الناس أصواتهن، وهذه المنازعات الوهمية بين الرجل والمرأة، كل هذه مشكلات مصطنعة، وأزمات مختلقة، فهم يُخالفون لمجرد المخالفة، لا لحاجة أوجبت هذا الاختلاف، والمرأة لا توضع حيث تدعو الحاجة .. صحيحة كانت أو مزعومة - إلى أن توضع، ولكنها توضع لمجرد إثبات وجودها في كل مكان، ولإقحامها على كل ما كان العقل والعرف ينادي بعدم صلاحيتها له، فليس المقصود بتوظيفها مثلاً في هذه الأيام سدّ حاجة موجودة، ولكن

---

(١) «مجموعة خطب عبد الناصر» (٨١/٤).

المقصود هو مخالفة عرف راسخ، وتحطيم قاعدة قائمة مقررة، وإقامة عرف جديد في الدين، وفي الأخلاق، وفي الذوق، وابتداع المسوغات التي تجعل انسلاخنا من ديننا أمرًا واقعًا، وتجعل دخولنا في دين الغرب ومذاهبه وفسقه أمرًا واقعًا كذلك.

وقصة «دعاة التحرير» هنا في مصر وغيرها تشبه قصة ذلك الرجل الذي قدم إلى أبرز ساحة في العاصمة، فملأ وسطها بالأنقاض، ثم جاء بسارية رفع عليها مصباحًا أحمر.

وجعل الناس ينظرون بدهشة إلى عمله.. وسأله بعضهم:

ماذا تريد بهذا المصباح؟ فأجاب: تنبيه الناس إلى الخطر لكي لا يصطدموا بالأنقاض، فلما سألوه: ولم جئت بهذه الأنقاض؟ أجاب: لكي أرفع هذا المصباح.

* وإذا أردنا أن نشرح دور السياسة في معركة الحجاب في مصر، فلاشك يقفز إلى أذهاننا الدور الذي لعبه «أنور اليهود»، «صديق إسرائيل»[1]، و«خادم أمريكا»، و«حليف الشيطان»، إن الذي تهكم بالحجاب علنًا، ووصفه بأنه «خيمة»، وجرائم

---

(1) وقد أقيمت الصلوات اليهودية في ميادين «تل أبيب» على ضوء الشموع حزنًا على موته، وحضر ثلاثة من رؤساء أمريكا قُدّاسًا جنائزيًا بالكنيسة على روحه.. لقد كان مُصِرًّا على أن يشتهر، وقد اشتهر لكن كما اشتهر إبليس وفرعون وقارون، ومضى إلى ربه بعد أن صفى كل عداواته إلا عداوته لأمته.

هذا المخلوق في حق الإسلام، وفي حق وطنه كثيرة، لا تكاد تَخفى على أحد، وقد ختم حياته **«النضالية»** ضد أمة محمد ﷺ، بتلك الإجراءات التعسفية، والحرب المسعورة ضد المحجبات عمومًا، والمنقبات خصوصًا، فكان رجاله يتعرضون للمنقبات في الطرقات، وكانت صحفه نارًا تصبّ حميمها على المنقبات. **وفرض عليهن الخيار بين السفور وبين الفصل من وظائفهن**، ولم تنج حتى النساء من حملة الاعتقالات الواسعة التي عمت البلاد، واصطف جنود الشرطة البواسل صامدين رابضين كالأسود على بوابات الجامعة، ودور التعليم، للتصدي لأي طالبة منقبة تسول لها نفسها دخول الجامعة بهذا النقاب، وذلك الجلباب السابغ الذي وصفه بأنه «خيمة»: فرعونٌ حقيرٌ يرقد الآن في مزبلة التاريخ، وحسابه على الله.

بل **هذه زوجة هذا الفرعون** تدلي قبل أن تدور عليها دائرة السوء، وهي في قمة غرورها - ولا أقول مجدها - بحديث إلى مجلة **«ماري كلير»** الفرنسية المتخصصة في شئون المرأة حول ما يتعلق بالمرأة الشرقية من عرف وتقاليد متوارثة كالحجاب وختان الفتيات وجريمة الزنى، وذلك خلال أربعة أسئلة وجهتها الصحافية الفرنسية، **«كاتي برين»**، التي زارت مصر أخيرًا لإجراء هذا الحوار وكان السؤال الأول:

انتشرت عادة الحجاب بين الفتيات في مصر، فما رأي

السيدة «جيهان» في تلك الظاهرة؟

وأجابت: «إنني ضد الحجاب، لأن البنات المحجبات يخفن الأطفال بمنظرهن الشاذ، وقد قررت (بصفتي مدرسة بالجامعة) أن أطرد أي طالبة محجبة من محاضرتي، فسوف آخذها من يدها، وأقول لها: (مكانك الخارج)، وفي نظري فإن المسئولية تقع على عاتق أساتذة الجامعات، فهم سبب في انتشار هذه الظاهرة، فإذا قام أستاذ بطرد فتاة واحدة من محاضراته مرة واثنتين فسوف تقلع الفتيات عن ارتداء الحجاب».

وتستطرد قائلة: «إن التحجب ليس بالشكل وبارتداء الأقنعة، فالإسلام لم يدع إلى ارتداء الحجاب، إنما تلك مسائل تفصيلية بعيدة عن جوهر الإسلام، وعن مبادئه الأساسية، ثم تذكر في نهاية الحوار أنها تعمل ليل نهار حتى تحقق للمرأة المصرية بعض حقوقها، وأن أبرز ما أنجزته هو صدور قانون الأحوال الشخصية الجديد، ثم ذكرت أنها دائمًا «تعاكس» زوجها في طلباتها للمرأة، ولكنه يجيب بقوله: «إن هذه ليست هي اللحظة المناسبة»، تقول: (ولكنني أعاود، وألح عليه في طلباتي من أجل المرأة)».

بشائر عودة الحجاب

﴿فأما الزبد فيذهب جفاء * وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض * كذلك يضرب الله الأمثال﴾. (الرعد، الآية ١٧).

أرأيت من ينطح برأسه الصخر، ويشرب بفيه البحر؟

إنه هذا الذي يتنكر للإسلام، ويسعى في أذية أهله، وصدِّهم عن دين ربهم. .

إنه لا يحطم الصخر، ولا يجفف البحر.

ولكنه يمشي على رأسه إلى القبر.

السيادة لشريعة الله عز وجل :

علمنا - مما تقدم أن **السفور حالة طارئة**، بدأت على استحياء منذ ما يقرب من خمسين عامًا، وبلغت أوجها منذ ثلاثين عامًا، ثم بدأ صعودها البياني في التوقف ثم الهبوط، ولايزال آخذًا في الهبوط السريع منذ عشر سنوات تقريبًا، **ويلاحظ الجميع أن المؤشرات كلها تؤكد أن السفور يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة، وستبقى بإذن الله السيادة لشرع الله، وأمره** بالحجاب، **﴿وكلمة الله هي العليا﴾**.

إن الشارع المصري يخبرنا أنه قد آن الأوان لهذا المرض الطارىء - السفور وملحقاته - أن ينقشع، وتبرأ منه أمتنا ككل

باطل، مصيره الهزيمة والاندحار، مهما طال الأمد.

فطوبى لمن تنزع عنها غلالة الرجعية الجاهلية، وتعود من غربتها واغترابها، وتأتي اليوم وغدًا بالحجاب ومعها العلم والوعي والبصيرة والحرية الحقة من عبودية العبيد، قائلة لشياطين الإنس الذين يزينون لها معصية الله ورسوله ﷺ:

﴿إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾.

وجهة نظر صحافي ألماني:

قال الكاتب الألماني هيلمنسدورفر في كتابه: (العبور العظيم، والروح الجديدة لمصر):

«لقد عشت في القاهرة كمراسل صحفي من عام ١٩٥٦م حتى عام ١٩٦١م ومنذ هذا التاريخ كانت طبيعة عملي وراء حضوري إلى المنطقة بين الحين والحين، وكنت أفضل دائمًا الإقامة بجوار النيل، إن التغيير الهائل الذي طرأ على القاهرة عاصمة الملايين، معروف للجميع، فقد انتقلت هذه المدينة الضخمة من الطابع الشرقي حيث كانت النساء يرتدين الأحجبة، والرجال يرتدون الطربوش إلى عاصمة كبرى، ولم تعد الفتيات اللواتي يرتدين البنطلونات والملابس العصرية يلفتن نظر أحد، أو يقابلن بدهشة واستغراب، وأصبحت العلاقات بين الجنسين علاقة سوية، لا تتخللها رواسب الجاهلية التي استمرت فترات طويلة في الشرق، ويكفي أن

تعلم أنه منذ ٢٠ عامًا فقط كان (٩٠) في المائة من الرجال في القاهرة يرتدون الجلباب ، وكانت كل النساء تقريبًا يرتدين الحجاب ، أما اليوم، فإن القاعدة العامة هي ارتداء البدل العصرية وعلى أحدث موضة في الغرب، وبالنسبة للنساء فإنه حتى في أكثر المناطق شعبية لم نعد نرى الحجاب»[1] اهـ.

لقد فرح ذلك الصحافي الألماني. . ولم يكن يدري أنها فرحة. . لن تتم، فتلك طبيعة هذه الدعوة، وتلك سنة الله في خلقه. . (أن دولة الباطل ساعة. . ودولة الحق إلى قيام الساعة)، بل لعله فرح لأنه لم يبلغه رأي أخيه (لاكوست) وزير المستعمرات الفرنسي منذ سنوات مضت:

أقوى من فرنسا:

ففي ذكرى مرور ما يزيد على مائة عام على احتلال فرنسا للجزائر، وقف الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول:

«يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم. . ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم»[2].

(وقامت فرنسا ـ من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر ـ بتجربة عملية، فتم انتقاء عشر فتيات مسلمات

---

(١) «الأهرام» (١/١٠/٨٢).

(٢) «المنار» عدد (٩/١١/١٩٦٢).

جزائريات، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية، ولقنتهن الثقافة الفرنسية، وعلمتهن اللغة الفرنسية، فأصبحن كالفرنسيات تمامًا.

وبعـد أحد عشر عامًا من الجهود، هيأت لهن حفلة تخرج رائعة دعي إليها الوزراء، والمفكرون والصحافيون.

ولما ابتدأت الحفلة، فوجىء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري..

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية، وتساءلت: «ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عامًا؟!».

أجاب «لاكوست»، وزير المستعمرات الفرنسي:

«وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا؟!»[1].

---

(١) جريدة «الأيام» عدد (٧٧٨٠) ـ تاريخ (٦ كانون الأول ١٩٦٢م)، ولقد دار التاريخ دورته، وإذا بالحجاب يغزو فرنسا في عقر دارها، وينتصر في معركة ثقافية على أعلى المستويات السياسية، والتشريعية، والإعلامية، وذلك حين فجرت قضية حجاب الفتاتين المغربيتين، والتي انتهت بأن انتصر مجلس الدولة الفرنسي ـ وهو أعلى هيئة قضائية إدارية في فرنسا ـ لمسألة الحجاب باعتبار أنه يمثل ممارسة لحرية التعبير.

العودة إلى الحجاب

عودة إلى الله

لقد فعلوا ـ كما تقدم آنفًا ـ شتى الحيل ليصدوا المسلمة عن دينها، ويوقعوها في شراكهم، ويذبحوا على أعتاب جامعاتهم ومصانعهم ومتاجرهم حياءها قربانًا لأغراضهم، وقد استجاب لهم كثيرات وكثيرات.

ولكن لم تعدم أمتنا من يقمن الحجة على هؤلاء الكثيرات، ويحيين السنة المطهرة، فخرج من بينهن فتيات عفيفات طاهرات، يهتفن من أعماق سويدائهن بنداء صارم بدَّد أطماع الأعداء، فردهم خاسئين:

«رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً».

وبعائشة الصديقة بنت الصديق، وفاطمة الزهراء، وأسماء ذات النطاقين، والخنساء أسوة وقدوة، لعلنا نحشر في زمرتهن يوم القيامة، قال، ﷺ: «المرء مع من أحب» متفق عليه.

وإذا بالفتيات المسلمات في كل مكان تهوى قلوبهن لهذا النداء العزيز، وتنضم الواحدة تلو الأخرى إلى موكب العفاف والفضيلة، بعد أن تهجر الفسق والرذيلة..

﴿وقل جاء الحقّ وزهقَ الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقًا﴾.

وأنى لباطل أعداء الإسلام أن يصبر أمام الحجة والبرهان؟ إن باطلهم ظلام، وحجتنا نور وبرهان، وأنى تصبر جيوش الظلام أمام جحافل الحق. ﴿بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾.

إن الردّ على دعاوى المبطلين قريب، وأقوى ردٍّ هو تخلّي المرأة المسلمة عن هؤلاء، بعد أن انخدعت بهن زمنًا طويلاً، وخلعت الحجاب، وخالطت الرجال، وذاقت ويلات تبرج الجاهلية، وجرت في دروب التقدميين والاشتراكيين طويلاً، فما وجدت عندهم إلا الشقاء والضنك، فعادت المسلمات - زرافات ووحدانًا - مستغفرات تائبات، خاشعات قانتات، هجيراهن جميعًا:

﴿سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾.

يا أعداء الإسلام «موتوا بغيظكم»:

لقد اغتاظ أدعياء التحرر، وصارت (عودة الحجاب) غُصّة في حلوقهم، فراحوا يتابعون هذه الظاهرة في حسرة وقلق:

الصنم الذي تحطم:

كتبت جريدة الأهرام بتاريخ (٢٩/٤/٧٧) تقول:

«أمس مر «٧١» عامًا على وفاة قاسم أمين محرر المرأة الذي دعا إلى تحرير المرأة، ورفع الحجاب»، ثم يقول الكاتب مغتاظًا متحسرًا متأسفًا: «الغريب أنه بعد مرور «٧١» سنة على وفاته

- وفي نفس الوقت الذي نحتفل فيه بذكراه ـ تقوم الدعوة إلى رجوع المرأة إلى البيت، وحجبها عن المشاركة في الحياة العامة» اهـ.

الإسلام يعود من الجامعة :

وهذا الصحافي (مصطفى أمين) يقلقه انتشار المدّ الإسلامي بين الفتيات في مصر، خاصـة في الجـامعـات، وبـين أعـلى الطبقات ثقافة، فيقول:

«حارب الأحرار في هذا البلد سنوات طويلة لتحصل المرأة على بعض حقها، ويظهر أن بعض الناس يريدون العودة بها إلى الوراء، وقد يحدث هذا في أي مكان، لكن لا نفهم أن يحدث في الجامعة مهد التقدم والفكر الحر»[1] اهـ.

ذهب أدراج الرياح :

وقـال أحـدهم في (صبـاح الخـير) وقد تلقى بعض الردود المفحمة من فتيات محجبات عن آرائهن في ما أسماه (الحب)، فلم ترقه إجاباتهن:

«أي جامعة هذه؟ وأي طالبات جامعيات هؤلاء في النصف الثـاني من القـرن العشرين؟! حيث المـرأة مسـاوية للرجل، وتصعد إلى الفضاء، إن كل ما يفعله المجتمع، وكل ما تفعله

---

(١) «أخبار اليوم» (٥ نوفمبر ١٩٧٧م).

الحكومة، من تعليم البنت وتشغيلها، وما تفعله زعيمات النشاط النسائي في مصر لتأكيد هذه المساواة، وتربية المرأة المصرية على الخروج على عقلية الحريم، تهدمه مثل هذه الأساليب في التربية والرعاية في المدن الجامعية للطلاب»[1].

لا .. لجيل (هدى شعراوي) :

وجـاء في مجلة أكتـوبـر عدد (٢٢) : (نشرت صحيفـة «كـريستيـان مونتيور» بحثًا عن الإنجازات التي حققتها المرأة المصرية في ميادين العلم والـدراسـات الاجتماعية، وقـالت الصحيفـة : «شيء غريب في مصر، لقـد كانت الأمهات من جيل (هدى شعراوي) أكثر تحررًا وتقدمًا من بعض الفتيات في مصر الآن . . الفتيات المحجبات والمتشددات! ومعنى ذلك أن «هدى شعراوي» وجيلها كن أكثر تحررًا وتطورًا من فتيات اليوم، بنات وحفيدات (هدى شعراوي)» اهـ.

وهـذه جريدة «الأهـالي» الشيوعية تتـابـع الظاهرة في قلق وغيظ، وتفـرد لها بحثًـا جاء في أثنـائه على لسان «د. زينب رضوان» قولها : «انتشر الحجاب بين الطبقة المثقفة قبل العوام، وهذا على عكس ما هو متعارف عليه، ونفس هذه الطبقة المثقفة هي التي رفضت الحجاب في زمن «هدى شعراوى» وخلعته،

---

(١) «صباح الخير» (١٦ يناير ١٩٧٥م).

ودأسته، وهي ذاتها التي عادت تنادى به، وبالعودة إلى الأصالة بالإضافة إلى أن الغالبية العظمى من المحجبات من الطبقة الوسطى، وهي الطبقة التي تقود التغيير في أي مجتمع، صحيح أنه انتشر أيضاً بين الطبقة الأرستقراطية ولكن بنسبة أقل»[1] اهـ.

وهذه (أمينة السعيد) تصف الحجاب بأنه ثياب ممجوجة، وتقول وقد ملأتها الحسرة «فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر يزعمن أنها زي إسلامي، لم أجد ما يعطيني مبررًا منطقيًّا معقولاً لالتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لفّ أجسادهن من الرأس إلى القدمين بزي هو والكفن سواء»[2].

عاد الحجاب :

وكتبت «منى رمضان» في (أكتوبر):

«عاد الحجاب مرة أخرى كظاهرة على وجوه الفتيات والسيدات في مصر، وهذه ليست آخر صيحة في عالم الموضة، كما قد يتبادر إلى الذهن، ولكنه نوع من الحشمة، و«إحياء»

---

(١) «الأهالي» (٥/١٠/١٩٨٣م).

(٢) «حواء» (١٨ نوفمبر ١٩٧٢م).

التقاليد[1] الإسلامية التي تطلب من النساء أن ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ ، والحشمة هنا نابعة من داخل المرأة، وعلى أساسها فصلت هذه الثياب» اهـ.

---

(١) ينبغي التحفظ من مثل هذه العبارات، فليس الإسلام «تقاليد»، وما عرفناه إلا منارًا، وتعاليم، وشرائع، ومعالم، وردت في أكثر من حديث: منها قول رسول الله ﷺ: «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم - أي دلائل ومسائل - دينكم». رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن عمر - رضي الله عنه - بهذا اللفظ، ومنها قوله، ﷺ: «إن للإسلام صُوىً ومنارًا كمنار الطريق، منها أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئًا، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تسلم على أهلك إذا دخلت عليهم، وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم، فمن ترك من ذلك شيئًا، فقد ترك سهمًا من الإسلام، ومن تركهن كلهن، فقد وَلَّى الإسلام ظهره» أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في «كتاب الإيمان» وغيره، انظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، حديث رقم(٣٣٣) . ومعنى و(صُوىً) جمع صوة: أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي والمفازة المجهولة، يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها، أراد أن للإسلام طرائق وأعلامًا يهتدى بها، كذا في «لسان العرب».

وعن عبدالله بن بُسر المازني - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت، وأنا كَبِرْتُ، فأخبرني بشيء أتشبث به، ولا تكثر عَلَيَّ فأنسى، قال: «لايزال لسانك رطبًا بذكر الله تعالى». رواه الترمذي والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

وفي بعض الآثار: «أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم =

مؤمنات .. لا مرتدات :

حقًا إنهم حائرون.. وهذا فيلسوفهم الهرم (زكي نجيب محمود) يتباكى على «تبرج الجاهلية»، الذي انقشع أمام الصحوة الإسلامية، فيقول:

«أصابت المرأة المصرية في أيامنا هذه نكسة، ارتدت بها إلى ما قبل.. هناك اليوم عشرات الألوف من النساء المرتدّات ينزلقن تطوعًا إلى هوة الماضي.. والمأساة أن المرأة اليوم تتبرع سلفًا بحجاب نفسها قبل أن يأمرها بالحجاب والد أو زوج.

إن أبشع جوانب الردّة في حياة المرأة المصرية ليس أن أحدًا يتدخل في شئون حياتها، ليس هو أنها تريد أن تتعلم إلى آخر المدى فيمنعها أحد، لأن أحدًا لا يمنعها من ذلك، وليس هو

= نهاية فانتهوا إلى نهايتكم»..

فكم تَقَرُّ أعين المتغربين والمتفرنجين، والجامحين الخارجين عن ربقة الإسلام، بكلمة «التقاليد» الإسلامية؟!

إنهم بذلك يحوّلون شرع الله ووحيه إلى أعراف وتقاليد، تواضع الناس - في زمن من الأزمان - على احترامها، وبناء على ذلك فما يصلح لجيل لا يصلح لآخر، وما يناسب مجتمعًا لا يناسب المجتمعات الأخرى، وما يتفق مع زمن فلا شأن له بباقي الأزمان!

فالهدف إذن من التعبير عن الأحكام الشرعية بـ (التقاليد) واضح، وهو جعلها عرضة للتغيير والتبديل، بحجة أن «تقاليد» عصر الصحراء لن تناسب عصر الفضاء ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾. (الكهف، الآية ٥).

أنها تريد أن تعمل بما تعلمته فيمنعها أحد، لأن أحدًا لا يقفل في وجهها أبواب العمل، وإنما الجانب البشع من تلك الرِّدَّة هو أن المرأة اليوم تريد أن تجعل من نفسها ـ وبمحض اختيارها ـ حريمًا يتحجب وراء الجدران أو يتستر وراء حجب وبراقع»[1].

ثم يصف زمن السفور متحسّرًا عليه قائلًا: «ذلك زمن أوشك على الذهاب مع رائدات الجيل الماضي»، ويستطرد قائلًا:

«إن في طائفة كبيرة من نساء هذا الجيل وبناته نكوصًا على الأعقاب بالقياس إلى الطموح الذي تميزت به أمهاتهن في الجيل الماضي، وإنها لمفارقة شديدة في أي مجتمع، أن ترى الجيل الأصغر منه سلفيًّا بدرجة تزيد عن الحدّ المألوف، وترى الجيل الأكبر منه أقل سلفية..

وبينما الشباب الثائر في البلاد الأخرى كان يحتج على أوضاع الحياة الراهنة، رأينا ثورة شبابنا تحتج هي الأخرى على أوضاع الحياة الراهنة، وتدعو إلى العودة بها إلى نموذج السلف»[2].

وفي فرنسا أيضا قلقون :

فقد كان أول سؤال وجهته الصحافية الفرنسية (كاتي

---

(1) «الأهرام» (٩/٤/٨٤).

(2) «الأهرام» (٧/٥/٨٤)، وانظر تفصيل الرد عليه في الأصل ص (٢٣٨ ـ ٢٦٧).

برين)، إلى (سيدة مصر الأولى والأخيرة): «انتشرت عادة الحجاب بين الفتيات في مصر فما رأي السيدة في هذه الظاهرة؟» فتجيب، وكأنه أسقط في يدها أمام قوة انتشار هذه الظاهرة: (في نظري أن المسئولية تقع على عاتق أساتذة الجامعات، فهم سبب في انتشار تلك الظاهرة، فإذا قام أستاذ واحد بطرد فتاة واحدة من محاضراته مرة واثنتين فسوف تقلع الفتيات عن ارتداء الحجاب. . . »[1] اهـ.

أمريكا وإسرائيل تحذران الغرب :

(الإسلام قادم، ونحن على خطر عظيم) :

في مقال عن قلق أمريكا وإسرائيل من الصحوة الإسلامية،

كتبت صحيفة «فورتشن» تقول: «إنه حتى في الجامعات العبرية في إسرائيل، بدأ الطلاب العرب المسلمون يُبدون اهتمامًا متزايدًا بالعودة إلى دينهم، وبدأوا يمارسون ضغوطًا على السلطات اليهودية للسماح بفتح كليات للثقافة الإسلامية، والشريعة الإسلامية، في الجامعات اليهودية، كما بدأ العديد منهم يطلقون لحاهم، ويُؤدّون العبادات الإسلامية، في الجامعات اليهودية، في حين بدأت الفتيات المسلمات في ارتداء الزي الإسلامي الشرعي»[2].

---

(١) ملحق جريدة «القبس» (٦ أكتوبر ١٩٨٠).

(٢) نقلًا عن صحيفة «القبس» الكويتية، عدد (٨٦/٦/٣٠).

وفي مقال آخر تقول الصحيفة نفسها: «إن الاتجاه الديني في مصر يُرسِّخ أقدامه يومًا بعد يوم، فالشباب المصري مفتون بالصحوة الإسلامية الثورية، كما أن الفتيات المصريات يُبدين اهتمامًا متزايدًا بالإسلام، وفي جامعة القاهرة يزيد عدد الطالبات الملتزمات بالزي الشرعي، وقد يأتي يوم لا تبقى فيه طالبة مصرية واحدة، إلا وقد ارتدت الزي الشرعي الإسلامي»[1].

المعركة مستمرة:

أعداء الحق في كل عصر على وتيرة واحدة، وقلوبهم متشابهة فيما يرد عليها من الخواطر والشئون، وعلى المسلمة الصادقة أن توقن أن المعركة بين الحجاب والسفور، بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر، لا تنقطع، فإن التاريخ يعيد نفسه، وإن هذه سنة الله في خلقه، ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾. (فاطر، الآية ٤٣).

ألا إنما الأيامُ أبناءُ واحدٍ
وهذي الليالي كُلُّها أَخَواتُ
فلا تَطْلُبَنْ مِنْ عندِ يومٍ ولا غَدٍ
خِلافَ الذي مَرَّتْ بِهِ السَّنَوَاتُ

---

(١) السابق، عدد (١٩٧٩/٧/٨).

قال تعالى: ﴿**يا أيّها النبيّ جاهدِ الكفارَ والمنافقينَ واغلُظْ عليهم ومأواهم جهنمُ وبئسَ المصيرُ**﴾[1]. (التوبة، الآية ٧٣).

وعن كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ: «**اهجوا بالشعر، إن المؤمن يُجاهد بنفسه وماله، والذي نفسُ محمد بيده كأنما تنضحوهم بالنبل**»[2].

فيا كتائب الحق في كل مكان:

جرِّدوا أسنة العزائم والردّ، واستعينوا على ردّ الباطل بالواحد الفرد، اكشفوا ما في مناهجهم من المؤاخذات، وبيِّنوا ما فيها من الخطأ والغلطات، ليظهر جهل أعداء الحقّ وفساد أقوالهم للناظرين، ولا عدوان إلا على الظالمين. **فتالله ما بارز** جنودَ الحق قطُّ قِرْنٌ إلا كسروا قَرْنَهُ، فقرع من ندم سِنَّه، ولا ناحرهم خصم إلا بشروه بسوء منقلبه، وسدُّوا عليه طريق مذهبه لمهربه.

فاللهم من أراد الإسلام وأهله بسوء، **فارددْ عليه دائرة السوء، وَرُدَّ كيده في نحره، واجعل تدبيره في تدميره ـاللهم**

---

(١) قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: ﴿جاهد الكفار﴾ بالسيف، (والمنافقين) بالحجة، (واغلظ عليهم) في الجهادين جميعًا، ولا تحابهم، وكل من وُقِفَ منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه؛ يُجاهَدُ بالحجة، وتُسْتَعْمَلُ معه الغلظة ما أمكن). اهـ من «الكشاف» (١/٥١٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده»، وحسَّنه الألباني.

اغفر لجامعه ولوالديه، ﴿وارحمهما كما ربياني صغيراً﴾، ولإخوانه في الله، ولمن نظر فيه فدعا له بالعفو والعافية في الدنيا والآخرة، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك مجيب الدعوات، وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الإسكندرية في :
الإثنين ٣٠ رمضان ١٤١١هـ
الموافق ١٥ إبريل ١٩٩١م

فهرس الموضوعات

الواعظـــة الصغيرة

انتهى اليوم الدراسي، وعادت الفتاة الصغيرة إلى منزلها، وقد غشى وجهها الجميل البريء سحابة من الحزن، ولمحت الأم الحنون، أن هناك أمراً يعتمل في نفس صغيرتها، و لم تحتج إلى جهد جهيد لتفصح الفتاة وتقول: «أماه، إن مُدَرِّسَتي هددتني بالطرد من المدرسة لأجل هذه الملابس الطويلة التي ألبسها».

الأم: «ولكنها الملابس التي يريدها الله يا ابنتي».

الفتاة: «نعم يا أماه ولكن المُدَرِّسةَ لا تريد».

الأم: «حسناً يا ابنتي، المُدَرِّسة لا تريد، والله يريد، فمن تطيعين، أتطيعين الله الذي أوجدك وصَوَّرَكِ وأنعم عليكِ، أم مخلوقة لا تملك لنفسها ضَرًّا ولا نَفْعاً ؟» .

فقالت الفتاة: «بل أطيع الله» .

فقالت: «أحسنتِ يا ابنتي، وأصبتِ».

وفي اليوم التالي انفجرت المُدَرِّسَةُ غاضبةً مؤنِّبةً تلك الفتاةَ التي تتحدى إرادتها، ولا تستجيب لطلبها، ولا تخاف من تهديدها ووعيدها، ولما زادت في التبكيت والتأنيب وثقل الأمر على الصغيرة، و لم تستطع أن تواجه ذلك السيل من مدرستها، وتلك النظرات من زميلاتها، عند ذلك انخرطت في بكاء شديد، ذهلت له مدرستها وجعلها تتوقف وتهدأ، ثم قالت الفتاة الصغيرة كلمة الحق التي خرجت كالقذيفة: «والله لا أدري مَنْ أطيع ؟ أنت أم هو ؟»، قالت المدرسة: «ومن هو ؟»، قالت: «الله، أأطيعك أنت فألبس ما تريدين وأغضبه هو ؟ أم أطيعه وأعصيك ؟»، ثم قالت: «سأطيعه سبحانه وليكن ما يكون» .

وسكتت المدرسة، وفي اليوم التالي دعت المدرسة أم الفتاة لتقول لها: «لقد وعظتني ابنتك أعظم موعظة سمعتها في حياتي».

نعم فقد أظهرت الفتاة تلك المدرسة على حقيقتها، وأخبرتها أنها جعلت نفسها نِدًّا لله، إذ هي تأمر بخلاف أمره، وتوجه إلى خلاف ما يريد، فتصاغرت في نفسها، وانزاحت

عن فطرتها تلك الحجب فعرفت الحقيقة.

وما أحوج الدعاة أن يعرفوا أن مهمتهم هي أن يصلوا الناس بربهم، ويضعوهم أمام مسؤولياتهم، ويعرفوهم بأنفسهم، كي لا يتمردوا ولا يطغوا.

وما أحوج الدعاة أن يعرفوا أن الحق إنما يصل إلى القلوب إذا خرج من القلوب التي تؤمن به وتعمل بمقتضاه، أما الكلمات الباردة فقلما تؤثر في السامعين.

وما أحوجنا أن نربي أبناءنا على الإسلام علماً وعملاً مراعين الحكمة في أخذهم بذلك.

وأخيراً: ما أعظم تلك الأم، فمثلها في النساء قليل، وأثرها في أبنائها عظيم، وللمسلمات بها قدوة، وعند الله أجر جزيل.

د / عمر الأشقر

«مواقف ذات عبر»

رقم الأيداع ٤١٢٤ / ٨٦